أثر الهوية الثقافية في غرب الأندلس[1](*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د/ شيماء عبد الحميد البنا
كلية الآداب – جامعة دمنهور

مُلخَّص:

تناولت هذه الدراسة موضوع الهوية الثقافية فى غرب الأندلس، وتم تسليط الضوء على النقاط التالية: تعريف الهُوية الثقافية وأهميتها فى الحفاظ على كيان الشعوب. والموقع الجغرافى لمنطقة غرب الأندلس وتأثيره على سكان المنطقة. كما تناولت الدراسة بعض مدن الغرب الأندلسى وتأثرها بالوجود العربى. وتعرضت الدراسة لبعض مظاهر الحياة الإجتماعية مثل السكان والتسمية واللغة.

وقد أجابت الدراسة على عدة تساولات من أهمها: هل كان للموقع الجغرافى تأثير على شخصية وطبائع سكان منطقة غرب الأندلس؟ ومنَ الأكثر تأثيرًا في مجتمع غرب الأندلس الإنسان أم المكان؟ بمعنى هل تأثَّر المكان بالقادمين عليه أم أثَّر هو فيهم؟.

وكان السير فى هذه الدراسة وفق المنهجين التحليلى والوصفى.

ومن أهم ما انتهت إليه الدراسة من نتائج أن للطبيعة دورًا كبيرًا فى تشكيل هوية البرتغال الإسلامية، كما أن هوية غرب الأندلس كانت نتيجة انصهار العرب والبربر وباقى الأجناس التى تسكن منطقة غرب الأندلس. ومن أهم النتائج أيضًا دور حروب المماليك المسيحية مع مسلمى الأندلس فى الحفاظ على هوية غرب الأندلس.

(*) مجلة "وقائع تاريخية" عدد يوليو ٢٠٢٠، الجزء الثانى.

The impact of cultural identity in Western Andalusia

Abstract:

This study dealt with the issue of cultural identity in western Andalusia, and the following points were highlighted: the definition of cultural identity and its importance in preserving the existence of peoples. The geographical location of the western Andalusia region and its impact on the population of the region. The study also dealt with some cities of western Andalusia and their influence with the Arab presence. The study of some aspects of social life such as population, naming, and language.

The study answered several questions, the most important of which are: Did the geographic location influence the personality and character of the population of the West Andalusia region? And who is the most influential in the society of Western Andalusia, the person or the place? Meaning is the place affected by those arriving on it, or is it affected by them The course of this study was according to the analytical and descriptive methods.

One of the most important findings of the study is that nature has a major role in shaping the Islamic identity of Portugal, and that the identity of Western Andalusia was the result of the fusion of Arabs, Berbers and the rest of the races that inhabit the western Andalusia region. Among the most important results is the role of the Christian Mamluk wars with the Muslims of Andalusia in preserving the identity of West Andalusia.

الكلمات المفتاحية: غرب الأندلس – البرتغال – الهوية الثقافية – الثغر الأدنى – المولدون –المستعربون –الحضارة

مقدمة

تشتمل على أسباب اختيار الموضوع التي تتلخص في الأهمية الاستراتيجية لمنطقة غرب الأندلس جغرافيًّا وتاريخيًّا، فهذه المنطقة تتمتع بهوية وخصوصية تميزها عن باقى الأندلس كما جعلتها مطمعًا من الأعداء، فقد حاولت الممالك المسيحية مرارًا وتكرارًا طمس الهوية الإسلامية بهذه المنطقة من خلال قيامها بمحاولات كثيرة للاستيلاء على مدن هذه المنطقة ونجاحها في الاستيلاء عليها، إلا إنَّها لم تظفر بأهدافها ولم تنل مُرادها بدليل بقاء كثير من

عادات وتقاليد وآثار العرب التي تملأ مدن هذا المكان، والتي تتمثل في الموروث الذى ورثته منطقة غرب الأندلس عن الأمَّة العربية الإسلامية ساكنة هذا الإقليم، وما حقّقه المسلمون من تقدُّم ورُقيٍّ في كافَّة العلوم والفنون والآداب، مما جعل هوية هذا المكان منحصرة في الحضارة والثقافة والتقدُّم والرُّقِى، لأنها–الحضارة– تتمثل في الأشياء الباقية من التاريخ والتي تدل من الذاتية والخصوصية أو ما يتمتع به غرب الأندلس من أمور تميِّزه عن غيره.

وإن كان يرجع الفضل للمسلمين في بناء شخصية هذا المكان، إلا أن موقعه المتميز ساهم في ذلك بقدر كبير فى جذب العرب للإقامة به وتكوين حضارة، وليس هذا وحسب بل الاستماتة في الحفاظ على هويته؛ مما جعلهم يعيشون في صراع مستمر مع الطامعين أمثال النورمانديين والممالك المسيحية النصرانية، أي إن العرب لم يصنعوا هويَّة غرب الأندلس فقط بل تكاتلوا من أجل الحفاظ عليها.

وقد ساعدت طريقة التعامل التي كان يتعامل بها الفاتحون مع أهل المنطقة من تسامح ومودَّة ورحمة واندماج في نشر الهوية الإسلامية عكس ما فعله النصارى من انغلاق على أنفسهم؛ خوفًا من تأثُّر عاداتهم وتقاليدهم بغيرهم. ولا يفوتنا في هذا المقام الإشارة إلى أن منطقة غرب الأندلس منطقة نائية متطرِّفة (أقصد أنها تقع على الأطراف) جغرافيًّا، ولهذا أثره في رسم الهوية الخاصة بهذا المكان، وأيضًا ندرة المادة العلمية وعدم تعرُّضها للحديث عن غرب الأندلس خاصّة في مقدِّمات الفتح وحتى عصر الطوائف؛ مما يعنى: أنه في حالة ثبات واستقرار المسلمين في الأندلس وتركُّز السلطة في أيديهم بالعاصمة لم يوجِّهوا أنظارهم إلى الأطراف –غرب الأندلس–.

فلمَّا كان عصر الطوائف، بدأ المسلمون يولُّون وجوههم شطر الأطراف ويُولُونها اهتمامهم بسبب ظهور مراكز سياسية مستقلّة فيها.

لما سبق وغيره، كان لزامًا علينا التركيز على هذه المناطق التي لم تظفر بكامل حقِّها فترة حكم المسلمين. فالعثور على ما يدلل على الهويَّة العربية في

هذا المكان بمثابة نجاح كبير للمسلمين وسبق لا بد من تقديره والاعتراف بفضلهم؛ لقلة وجودهم–العرب– في هذا المكان؛ مما يجعل وجودهم في تلك المنطقة مقياسًا للهوية والتأثير لا يقاس بالهوية العربية في باقي أجزاء الأندلس؛ لاستقرار العرب فيها ومن الطبيعي أن يتطّبع هذا المكان بالهوية العربية. علمًا بأن البحث لم يشتمل على ذكر أحداث تاريخية حدثت بمنطقة غرب وإنما يتطرَّق إلى مخلّفات هذه الأحداث وآثارها لذلك كانت هذه الدراسة حضارية أكثر منه سياسية.

وتتبيَّن الأهمية الكبرى لهذا البحث في استدعاء الذكريات وبقايا الأطلال العربيَّة بجزء من أوربا لدرجة أن بعض مدن هذه المناطق سميت بمدينة العرب، ليس معنى ذلك أنك تسمع الكثير من الأصوات التي تتحدَّث العربية، ولكن لما تلاحظه من بصمة التاريخ العربي في جميع أرجاء هذا المكان.

كما أنه لا بد من معرفة أن العرب حينما اختاروا الجنوب مستقرًّا لهم لتماشيه مع طبيعة مناخهم في المشرق وابتعادهم عن الاستقرار في الغرب بصفة دائمة قد جعل تركيز البربر أكثر وأوضح؛ فكان لزامًا عليهم أن يهتمُّوا بهذه المنطقة بزيادة الكثافة السكانية وتوطين العرب بها، ولم يحدث تنافس مستمر عليها، كما يتطلّب من العرب صنع هويَّة خاصَّة بالمكان مجهودًا يحسب لهم وقد نجحوا في ذلك إلى حدٍّ كبير؛ لأن نجاح هذه الهوية لم يكن متوقّفًا على انتقال العرب واستقرارهم في غرب الأندلس فقط، بل تطلَّب منهم أن يتكيفوا مع سكان المنطقة وبالفعل تعايشوا مع ظروف المكان الجديد حتى استطاعوا كسب ثقة سكان المنطقة وبمرور الوقت تطبّعوا بطبائع العرب. وليس معنى هذا أن العرب هم أصحاب الفضل الأول في تكوين هوية المكان رغم دورهم الكبير ولكن يرجع الفضل لأجناس وعناصر متعدِّدة في بناء هذه الهويّة.

وهذه بعض النماذج بغرب الأندلس التي تؤكد وجود هوية إسلامية وليست عربية؛ لاشتراك العرب والبربر والمولّدين والمستعربين وغيرهم من سكان المنطقة في بناء هذه الهوية. ومن العجيب رؤية مؤرِّخي البرتغال يتجاهلون هذه

الحقبة الطويلة للعرب بالبرتغال ويتحدثون عن بداية تاريخهم مع الرومان بالرغم من أننا لم نسمع عن شخصية واحدة في عصرهم لها قيمتها من الناحية الحضارية أو الثقافية في حين أخرجت البرتغال الإسلامية مئات من الشخصيات الفذَّة التي تعتز بها الحضارة الإنسانية والتي تمثل في تاريخ الفكر معالم مشرفة مجيدة. كما كان للعامل الجغرافي دورٌ كبير في تحديد ثقافة واتجاهات سكان هذا المكان. لهذا كان لزاما علينا توضيح قِيَم وعادات وتقاليد سكان غرب الأندلس لنبيِّن مدى ثقافة المجتمع الذى يحيَون فيه، والأحداث التي تأثَّروا بها ولعبت دورًا في تشكيل وتغيير هويَّتهم التي أصبحت بمرور الوقت **جزءًا** من ثقافة هذا المجتمع. وحتى يتضح لنا طبيعة مجتمع غرب الأندلس وهويته الثقافية ومدى استيعابه للأفكار الداخلة عليه وتأثُّره بها. وهنا سنتتبع عناصر الهوية الثقافية المتمثلة في المجتمع والسكان والدولة.

ويتضمَّنَ البحث الصفات الثقافية التي تميِّز سكان الغرب الأندلسي عن سكان باقي الأندلس ومدى تأثرهم بطبيعته؛ فقد كانوا يقطُنون مناطق جبلية وعْرَة، الأمر الذي جعلهم يصطبغون بصبغة هذا المكان؛ فقد أثَّرت فيهم طبيعة هذا المكان الجبليّة وجعلتهم متمرِّدين دائما مائلين للثورات، كما توفّر لديهم قوَّة الشخصية.

إشكالية البحث:

هذا البحث يجيب عن عدة تساؤلات أهمها: لماذا وقع الاختيار على غرب الأندلس بالتحديد؟ وما هى الهوية الثقافية المميزة لتلك المنطقة؟ وما أهم صورها؟ وهل استمرت أم طُمست؟

وبما أن محور البحث يدور حول الهوية، فلا بد من تعريفها والوقوف على كُنهها لإجلاء الحقائق وإبراز الثوابت التي لابد من معرفتها بمصداقية

لقد كانت الهوية الإسلامية في غرب الأندلس اختيارًا وإرادة حرة، اجتمع عليها الغالبية العظمي من سكان غرب الأندلس من المسلمين وغير المسلمين،

وحتى لاتُتهم بالمبالغة أو المحاباة، نكتفي بقول ابن المولدي: "لأن يكون أبي مولي – عبدًا – عربيًّا خير لي من أن تكون أمي ابنة أميرة قوطية"[٢]. وهو ما يدعم قولنا بأن العنصر السكاني باختلاف أطيافه بين عرب وبربر ومولدين ومستعربين، قد اختاروا بإرادتهم الانضواء تحت راية الهوية الإسلامية التي كانت بوتقة انصهرت فيها جميع الأجناس لتشكل الهوية الإسلامية لغرب الأندلس، والسقيفة التي استظلت بها جميع الأجناس والأديان من مسلمين ومسيحيين ويهود؛ ليجدوا فيها متنفسًا للإبداع والانتماء لهوية سادت عالم العصور الوسطى، وقدمت حضارة للإنسانية دون تفرقة أو تعصب ديني أو عرقي؛ لأن الاسلام نظر للجماعات كبشر لا كقوميات أو عصبيات. من هنا توجَّب علينا أن نضع تعريفًا لمصطلح الهوية الإسلامية من الناحية التاريخية؛ وبيان لماذا اختارت الباحثة إقليم غرب الأندلس على وجه التحديد.

ولتعريف الهويَّة لغةً: فإنها مشتقة من الضمير "هو" الذى يعنى أن "الشيء نفسه" أو "كما هو عليه"، أما مصطلح "الهُو هُو" المركَّب من تكرار اللفظ هو فقد وضع كاسم معرف بأل ومعناه: "الاتحاد بالذات" وهو ما يتفق مع معنى الكلمة باللُّغة الفرنسية identite والمأخوذ من الأصل اللاتيني identitat[٣]. ويحدد مفهوم الهُوية من خلال الدلالات اللغوية والاصطلاحية والفلسفية والتاريخية التي يحملها هذا المفهوم في طياته، وتشير هوية الشيء في اللّغة العربية إلى حقيقته المطلقة وسماته الجوهرية التي تميزه عن الأشياء الأخرى، لذا فإن فلسفة مصطلح الهوية لا تميِّز بين المادة والروح، ولا بين الذات والموضوع؛ حيث إن هوية الشيء تعنى ماهيته[٤].

وتكمن أهمية الهوية في حفاظها على كيان الأمة والشعب؛ وبدونها تكون الأمة فارغة تافهة، ويتولَّد هنا ما يسمَّى بأزمة الهوية، لذا أجمع المؤرَّخون على أنه لا وجود لشعب بدون هوية؛ حتى لا يسهل استقطاب الأمة والهيمنة عليه وتذويب شخصيته، ولما كانت أبرز مقوّمات الهوية هي الدين والتاريخ والجغرافية والأرض واللّغة إلى جانب المجال الحضاري ببُعديه التاريخي

والثقافي وتراكماته التي توارثتها الأجيال، فإنه إذا ما توافقت هوية الفرد مع هوية مجتمعه كان الأمن والراحة والاستقرار والاحساس بالانتماء، وإذا تصادمت الهويات كانت الأزمة والاغتراب[٥]؛ وإذا ما طبقنا هذه الفكرة علي الهوية الإسلامية علي وجه التحديد، وجدنا أن ركنيها الشديدين هما اللّغة العربية كلغة والإسلام كديانة، فهما الركنان الاساسيان وما سواهما من العناصر فرعي ومكمِّل[٦].

أما الثقافة الإسلامية فهي: مجموعة المعارف والتصوُّرات والعلوم النظرية في إطار موقف الاسلام الشامل من الكون والإنسان والحياة، وهي معرفة مقومات الأمة الإسلامية بتفاعلاتها في الماضي والحاضر من دين ولغة وتاريخ وحضارة وقيم وأهداف مشتركة بصورة واعية هادفة، لذلك تسهم الثقافة في تحديد شخصية الأمة وهويتها، وبالتالي فإن تهديد ثقافة الأمة وضياعها وطمس معالمها يؤدي إلي فقدان الأمة لوجودها وهويتها وذوبانها في الثقافات الأخرى[٧].

مما سبق يتضح لنا أن إقليم غرب الأندلس مثال تطبيقي ونموذج فريد من نوعه تتوافر فيه أغلب مقومات الهوية الثقافية الإسلامية، من جغرافيا وسكان ولغة وديانة وعادات وتقاليد.

أولًا. الموقع الجغرافي لغرب الأندلس وتأثيره على السكان[٨]:

لقد قام العرب بفتح هذه المنطقة – منطقة غرب الأندلس– ولم يكونوا على معرفة بأسماء هذه المدن من قبل؛ لأن اسم البرتغال قد ظهر لأول مرة سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م؛ لذلك أطلق العرب على المناطق التي تم فتحها في جنوب البرتغال اسم الغرب؛ لوقوعها غرب الأندلس وغرب الحاضرة، ولا يزال جنوب البرتغال حتى الآن معروفًا باسم "Algarve"[٩] ويُمثل غرب الأندلس (البرتغال الإسلامية) وحدة منعزلة جغرافيًّا وسياسيًّا عن باقي الأندلس؛ حيث كانت هذه المنطقة ممتدة بين نهر "منهو Mino"[١٠] في الشمال والمحيط الأطلنطيكي في الجنوب وبين "وادى يانة Guadiana"[١١] شرقًا والمحيط

الأطلنطي غربًا، فهي تقع على مصبات الأنهار، مثل "الوادي الكبير Guadal Quivir"[١٢] ونهري "آنة Guadiana" و"التاجو Tajo"[١٣] وغيرهما من الأنهار؛ مما جعل منطقة غرب الأندلس عرضة للاختراق من جانب الأعداء البحريِّين خاصّة النورمان[١٤]. كما لعبت الأنهار دورًا كبيرًا في نقل الحضارة؛ لكونها المنافذ والمعابر التي تنقل المؤثرات الحضارية من مكان لآخر.

من هنا يتضح لنا أن جغرافية غرب الأندلس متميزة عن باقي الأندلس، فوقوعه على ساحل المحيط الأطلنطيكي وفَّر فيه أهم الشروط التي وضعها ابن خلدون [١٥] عند تأسيس المدن، وهى أن تكون في مكان زاخر بالمياه والمرافق، بالإضافة إلى عزل المنطقة عن وسط الأندلس بسلسة جبال سيرمورينا Sieira Morena أو الجبال السمراء المعروفة في المصادر الجغرافية "بجبل العروس" وهو جبل قرطبة ومبدؤه من ساحل البحر المتوسط القبلي الذى بساحل "بلنسية Valencia"[١٦] التي يسميها العرب جبال المعدن، ومنتهاه البحر المحيط الغربي بإزاء مدينة "باجة "Beja"[١٧] ومدينة "أكشونبة Ocsonoba"[١٨] بالإضافة لجبال الشارات وسلسلة جبال النجمة وجبل الرابطة. [١٩]

وعلى الرغم من أن غرب الأندلس يكاد يكوّن وحدة جغرافية شبه منعزلة بفعل الجبال والأنهار ويستطيع الاكتفاء ذاتيًّا، إلا أنه كان منفتحًا على باقي الأندلس؛ فالجغرافية كانت عامل وصل لا فصل، فعلى سبيل المثال كانت جبال الشارات جالبة للأمطار، محافِظةً على توازن الطبيعة؛ فمنح سكانه شخصية متمرِّدة مُحِبَّة للمغامرة.

واستمرت الطبيعة في منح العطايا والهبات لقاطني غرب الأندلس، فها هي الأنهار مثل وادى يانة[٢٠] ووادى دويره Duero"[٢١] ونهر "التاجه El Tajo" تكوِّن شبكة مائية متشعبة لعبت دورًا كبيرًا في اعتدال درجة الحرارة، وتشكل شريانا يصل أطراف غرب الأندلس ببعضها البعض وتُؤمِّن مصدرًا مهمًّا لمياه الشرب، كما تولّد عنها سهول زراعية كثيرة الخيرات والمحاصيل مثل سهول فحص "بلاطة Campo de Valada"[٢٢] في إقليم "ليزيرياس Lezirias"[٢٣]

الذي يعتبر من أهم مناطق إنتاج الغلال بالأندلس ويطلق عليه مخزن غلال الغرب، وسهل "فحص البلوط Pedroche"[٢٤]، وما كان لهذا الموقع أن يؤتى ثماره لولا تفاعل الانسان مع المكان. فها هم الفاتحون يغترفون من خيرات الطبيعة ويسخِّرونها في خلق هوية جغرافية، وإن كان المقريّ يقول: "إن أهل غرب الأندلس حين يريدون الماء يدعون الله فيستجب لهم فتمطر السماء، أي: أن السماء تمطر وقت احتياج السكان للماء"[٢٥]، فإن أهل غرب الأندلس من المحاربين المسلمين أدركوا أنها منطقة ثغريه[٢٦] يطمع فيها أعداء الإسلام في الأندلس، فلم يكتفوا بوفرة مياه الأنهار والأمطار، بل قاموا بحفر الآبار في حصون تلك المدن مثل بئري مدينة قاصرش؛ خوفًا من تعرُّضها للحصار والدمار من الأعداء الطامعين فيها، كما أقاموا الصهاريج والخزانات في غرب الأندلس حتي أن كلمة Jaraiz القشتالية تعنى: كلمة صهاريج العربية، ويقصد بها بركة من الماء[٢٧].

ويعتبر مجتمع غرب الأندلس مجتمعًا زراعيًّا يعتمد سكانه على الزراعة، فالأرض كانت أوفر حصادًا وإنتاجًا بسبب خصوبة التربة، مثل "شنترة Cintra"[٢٨] وفحص البلوط وشنترين[٢٩]، التي تعتبر من أكثر المناطق المنتجة للقمح والشعير والغلال[٣٠]. من هنا نجد أن غرب الأندلس يسبق كل الأندلس في الثروة الزراعية التي كانت عصب الحياة الاقتصادية.

كما استخرِجَت المعادن والكنوز من باطن الأرض، الأمر الذي جعل أهل غرب الأندلس يستغلونها في الصناعات، مثل: معدن الذهب الذى اشتهر به حصن المعدن بالقرب من مدينة الأشبونة، والذهب ومقاطع للرخام من عشرة مقاطع ٣١ التي توافر في جزيرة طوزيرة، والفضة التي استخرجت من شنترة من مدن الأشبونة وباجة، كما وجدت صناعة الخزف والفُخَّار التي تحتاج إلى **الطمي** الطمى المتوافر بكثرة في المنطقة، بالإضافة إلي أحجار الأشبونة التي استخدمت في صناعة أواني الطهي حتي قيل عن أحجارها: إنها تتلألأ ليلًا كأنها سراج منير[٣٢]. **ويقول القزويني "إنه بالقرب من الأشبونة يوجد جبل**

يوجد فيه حجر البجادي، وهو حجر يضيء بالليل كالمصباح، وقد أخبرنا من صعد هذا الجبل ليلًا بأن هذا الحجر يضيء كالمصباح، وقال: إن بهذا الجبل معدن الجزع [٣٣]، كما أدي ازدهار حركة الصيد إلي إنشاء مصانع تمليح الأسماك التي لعبت دورًا كبيرًا في الأشبونة[٣٤].

وبالرغم من افتقار كل الأندلس إلى القصدير إلا أنه توافر في مدن غرب الأندلس بكثرة خاصة في مدينة اكشونبة، كما يوجد بها العنبر الطيِّب ومعدن الفضة وبها مقطع الرخام، وصيدها كثير في البر والبحر، وهى من أحسن البقاع متنزهًا، ومن مدائنها شلب وهى حاضرة الغرب وليس للمسلمين في الغرب مثلها بعد إشبيلية[٣٥]– وسوف نستشهد بهذه المدنية للدلالة على هوية المسلمين في الغرب؛ لما لهذه المدينة من شأن كبير؛ فقد شهدت ازدهارًا حضاريًّا وفكريًّا، كما توفر بالمنطقة الحديد والملح وهما من العناصر الأساسية للموارد الاقتصادية في غرب الأندلس مثل "قصر أبى دانس Al Cacer do Sal"[٣٦]، كما أتاح وقوع كثير من مدن الغرب الأندلسي على سواحل المحيط الأطلسي الفرصة في استخراج عناصر طبيعية بحرية ذات قيمة اقتصادية كبرى، أهمها العنبر الرفيع القدر الذى لا يوجد مثله في معمور الأرض، وهو من أهم ثروات البحر المحيط، ويدخل في صناعة الأدوية مما يعني أن للطبيعة دورًا كبيرًا في تطوّر الطب بغرب الأندلس[٣٧]. كما استخدمه –العنبر–أهل الأندلس أيضًا في صناعة العطر والطيوب، واستخرجوا منه خيوطًا يستخدمونها في صناعة ثياب نفيسة احتكر أمراء بن بنى أمية وخلفاؤها صناعتها، كان ثمن الثوب يزيد على ألف دينار[٣٨].

وتعد تربية الماشية والدواب من الأعمال المهمَّة للبربر؛ حيث كثر عددها بهذه المنطقة، كما كثرت تربية الإبل في غرب الأندلس بفضل المرابطين حينما دخلوا الأندلس لمحاربة النصارى، كما حرص سكان غرب الأندلس على اقتناء **البزاة** البزاه، وكان هذا النوع من الصيد شائعًا عند ملوك الأندلس وحاشيتهم، ويوجد مكان شمال البرتغال يحمل اسم "البيازرة Al Vayazera"[٣٩] ومن

المناطق الرعوية للأغنام في غرب الأندلس قلمرية وشلب وبطليوس وغيرها من المدن؛ حيث كانت من أهم المدن إنتاجًا للثروة الحيوانية[٤٠].

كما لعبت شبكة الأنهار دورًا حيويًا في غرب الأندلس، أثَّر على نمو حركة التجارة فيها، وأغناهم عن استخدام الطرق البرية[٤١]. ويختلف غرب الأندلس عن باقي الأندلس في أنه منطقة سهلية قليلة الجبال والهضاب، ويرجع ذلك إلى طبيعة الطرق نفسها عكس الطرق الملتوية والمنحنية داخل الأندلس والتي تدور حول المدن[٤٢].

ويلاحظ أن منطقة غرب الأندلس ذات مناخ متنوِّع؛ فكانت المناطق الساحلية ممطرة، أما المناطق الداخلية فكانت تقل فيها الأمطار، فاعتمد سكَّانها على الري ومياه العيون والآبار، هذا التنوع المناخي أتاح الفرصة لزراعة أنواع شتى من المحاصيل، حتى برع أهل الغرب في زراعة كل محصول بما يتناسب مع التربة ونسبة المياه. ومن أهم حاصلات غرب الأندلس الغلال، حتى قيل عن غرب الأندلس: إنه مخزن غلال الأندلس، القمح والشعير وأيضًا البقول[٤٣]. ومن الزراعات المتميزة في غرب الأندلس: الكروم والتين والزيتون والجوز واللوز والبلوط التى يتميز بحلاوة طعمه والذى لا يضاهيه بلوط في أي اقليم آخر، وغابات الصنوبر التي تكسو سواحل البرتغال. ومن الوسائل التي استخدمها المزارعون بغرب الأندلس لسحب مياه الآبار إلى ارتفاع الأرض المزروعة العجلات المائية الكبيرة التي عُرفت باسم النواعير[٤٤] والتي ترجع لأصول مشرقيَّة، كما كان هناك المغرفة La Puiseuse وهي مشتقة من الدلو، ويعني: السطل أو القادوس من الجلد يُمْلأ من مياه البئر، وتقابل ما يعرف في ريف مصر بالشادوف (آلة لرفع الماء ورى الأرض)[٤٥].

وعند هذا المنحني يتجلى لنا التقاء الجغرافيا كأحد أركان الهوية الثقافية مع العنصر البشري، صحيح أن الطبيعة الجغرافية لعبت دورًا كبيرًا في تشكيل الهوية الثقافية "للبرتغال الإسلامية" أو لأقليم غرب الأندلس، فقد حبا الله المكان بالبحار والأنهار والجبال والسهول الخصبة؛ فأصبحت هذه مصدرًا جاذبًا

للشعراء والفقهاء والأدباء بل والصناع والزراع الذين تفاعلوا مع الجغرافيا، فتشجعوا على الإقامة والاستقرار والإبداع في غرب الأندلس. وإن كان هناك من يري أن قلة عدد السكان من العرب يدفع للقول بإن إقليم غرب الأندلس كان طاردًا للسكان؛ إلا أن المتأمل للموقع الجغرافي يدرك على الفور أنه إقليم حدودي بحري، وبقعة مشتعلة من الصراعات العسكرية بين المسلمين والممالك المسيحية، وتحت وطأة الشعور بالخطر والتهديد من الأعداء كان الحرص علي الهوية الثقافية الإسلامية التي شكَّلَت رابطة وثيقة العُري لشتي أجناس المسلمين في غرب الأندلس؛ لتكون بمثابة حائط صد معنوي للعدو، وفي ذات الوقت يكثرون من بناء المدن والحصون والقلاع علي طول الحدود في غرب الأندلس كحائط صد مادي. وبالتالي يسهل الحكم علي المتأمل بأنه لم يتولد عند المسلمين أية شعور أو احساس بالاغتراب أو بالرغبة الملِحَّة في الهجرة أو الرجوع لبلادهم، وهو ما يتأكد بدراسة سكان غرب الأندلس.

ثانيًا. مدن الغرب الأندلسي والتأثُّر بالوجود العربي

١. السكان

أ. العرب

وهنا نوضح مدى تفاعل السكان مع مقوِّمات الهوية الثقافية؛ فأماكن استقرار العرب في الأندلس كانت تتجه من جنوب الأندلس إلى غربه وشماله الغربي، من هنا يتضح أن منازل العرب تمتد إلى غرب الأندلس، ودليلنا على ذلك قبائل بني زهرة أو الزهريون؛ فقد سكنوا هذا الإقليم وهم عدنانيون، كما استقر جماعة من الفهريين بمدن الغرب، كما كانت مقرا لليمنية والحضارمة والتجيبيِّين وكذلك نزل معظم جند مصر ومعظمهم يمنية في مدن غرب الأندلس، مثل بنى أخطل في الأشبونة[٤٦]، وكان الكلبيون والجذاميون ينزلون في غرب الأندلس على مقربة من سواحل الأطلنطي، وكانت القبائل العربية التي تنزل في مناطق بعيدة عن المدن الكبرى تتخذ لنفسها حصونًا تقيم فيها، وسرعان ما تتحول هذه الحصون إلى مراكز عمرانية هامة، وهناك العديد من

أسماء المواضع التي لها أصول عربية في هذا الإقليم مثل قاصرش موضع يعرف باسم Accituna وأصله من الكلمة العربية "الزيتون"، وموضع آخر على مقربه منه يسمَّى Accitunilla بمعنى شجيرة الزيتون، وموضع بقلمرية يسمّى Adela بمعنى: عبد الله وحصن Alarixe المشتق من الكلمة العربية "العريش"، وكان بيابرة[٤٧] موضع يعرف بـ Alcacovas. الذي ربما اشتق من الكلمة العربية "القصبة"، وموضع آخر يعرَف بـ Alcala بمعنى "القلعة"، وفى قلمرية Alcaide وهو محرّف من الكلمة العربية "القائد"، وفى الأشبونة موضع يسمى Alcainca وهو محرف من الكلمة العربية "الكنيسة"، وفى قاصرش والأشبونة بلدتان تعرفان بـ Alcantra نسبة إلى الكلمة العربية "القنطرة"، وفى بطليوس قرية تسمّى Al Fajor نسبة للكلمة العربية "الفخار"، وفى قاصرش بلدة تسمَّى Alconetlar نسبة للكلمة العربية "القنطيرة"، وفى بطليوس موضع يعرف بـ Al garbes نسبة إلى كلمة "الغرب"؛ فقد استقر عدد كبير من القبائل العربية بهذا الإقليم طوال العصر الإسلامي وتركوا بصمات واضحة هناك.

وأكبر دليل على وجود الهوية العربية في غرب الأندلس جيل المولّدين، وتمسُّك هذا الجيل بأهداف الدين الإسلامي والحرص عليه، وكان بعض المولدين يرى أن انحدارهم من مولى مغمور **لبني** أمية أفضل بالنسبة إليهم[٤٨]، وقد حافظ العرب على هويتهم بغرب الأندلس؛ فقد كانوا يحافظون على نُظُمِهم وتقاليدهم القبلية، فقد احتفظ عرب هذا الإقليم بنقاء دمهم إلى حدٍّ كبير، فقد استقروا أسرات ترتبط فيما بينهم برباط النسب والعصبية غير أن هذا لم يمنع مصاهرتهم أهل البلاد بالإضافة إلى التسرّى بالجليقيات البشكنسيات"[٤٩] بحكم اتصالهم بجليقية بسبب الحروب المتوالية، مما كان له عظيم الأثر في ازدهار تجارة الرقيق وتعدُّد أسواق النخاسة في غرب الأندلس، ولعل هذا ما يفسّر كثرة عدد المولدين في هذه المنطقة، فيمكننا تسمية غرب الأندلس بإقليم المولديين والبربر والمستعربين، وبالتدريج أصبح العرب يمثلون أقلية سكانية قياسًا إلى الأعداد الهائلة من البربر والمولدين.

ب. البربر

لعب البربر دورًا مهمًّا في الفتح الإسلامي للأندلس؛ حيث يرجع إليهم الفضل في الفتح والاستقرار والصمود في الأندلس لفترات طويلة، علمًا بأن غرب الأندلس وجنوبه أحد مراكز استيطانهم، مثل بربر مصمودة ونفزة ومكناسة[٥٠]، وكان منهم بنو الأفطس الذين استقروا بغرب الأندلس في عصر دويلات الطوائف[٥١] وكان أفراد من بربر البرانس وهم بربر مصمودة يسكنون "جبال المعدن Sierra De Almaden"، ولذلك يطلق على هذه الجبال اسم "جبال البرانس"، لذلك كانت منطقة غرب الأندلس خير مستقر للبربر على حد قول ابن حيان، فقد أطلق على إقليم الغرب أو إقليم الجوف اسم "بلاد البربر"، كما استقر بربر بنو وانسوس في الغرب وهم ينتمون إلى بربر مكناسة وإلى قبيلة مغيلة[٥٢].

وقد برز منهم علماء وفقهاء من بينهم أبو عبد الصمد هذيل بن محمد بن تاجيت البكرى[٥٣] وحفيده[٥٤]، كما كان هناك مواضع تعرف بأسمائهم مثل موقع في شنترين يعرف باسم "Pernes" نسبة إلى هؤلاء البربر، كما عُرفت منطقة قصر أبى دانس باسم قصر الفتح وقصر الملح؛ نسبة إلى بربر هذه الناحية وهم المصامدة الذين اشتغلوا بتجارة الملح، كما عاشت قبائل بربرية من مغيلة وزناتة في الغرب الأندلسي، ولا يزال اسم هاتين القبيلتين يطلق على منطقتين في إقليم بطليوس، هما Gineta نسبة لزناتة و Maguilla نسبة لمغيلة ذنون. ولم يكن دور البربر قاصرًا على حرصهم بتسمية الأماكن بأسمائهم فقط، فقد كان لهم دور كبير في الدفاع عن غرب الأندلس من الأعداء المجاورين. ومن مواقف البربر قيام قبيلة نفزة بمناصرتهم للثائر ابن القط[٥٥] في عام ٢٨٨هـ/٩٠٠م في دعوته للجهاد ضد مملكة جليقية. كما اشتهروا بولعهم في الأدب، فنجد المظفر بن الأفطس يكتب مختصرات لكل كتب النحو والمعاجم والشعر والروايات العربية والمصادر التاريخية. والمواضع التي سمّيت باسم البربر في غرب الأندلس كثيرة، مثل موقع يسمّى "كوتيموس Cotimus" و"آل

كوتيم Al coutim" على اسم البربر، وموضع في الغرب أيضًا يسمَّى "Cotim Afonso" وهناك قرية تعرف باسم "قسولة"[٥٦]، وهناك موضع آخر في الألنتيخو يسمّى Al Zinhaga وهو مشتق من صنهاجة، وقبيلة دُمر Domar، وهناك جيل في البرتغال يعرف باسم "بنى أجازيل Benagazil"، وموضع بالقرب من قلمرية اسمه "جازل" وهو مشتق من اسم ابن الوزير الذى تولّى حكم إقليم بطليوس فى أواخر عصر المرابطيين، وهناك موضع في قاصرش يسمى "جمارة Gomara" نسبة لقبيلة غمارة وموضع بالقرب من شلب يعرف باسم "بنو فاطمة Benafatima"، أو "بنو مريق Bena Marigua" بالقرب من يابرة و"بنو صفرين Beni Safrin" بالقرب من شنتمرية الغرب. ومن الأماكن التي تدل على استيطان البربر في غرب الأندلس واعتبار هذا المكان منزلًا لهم Villa Nova de ourem وهو مكان في البرتغال نسبة إلى بربر وهران، و"Tunis" نسبة لبربر تونس، و"Alquerubim" نسبة لبربر القيروان، و"Alzila" أيضًا في البرتغال نسبة لبربر أرزيلا، و"Barasal" قرب جواردا في البرتغال نسبة إلى بنى برزال (زناتة) و"Azinhaga نسبة إلى بربر صنهاجة و"Alcoutim" نسبة إلى كتامة. لهذا كله نجد الطابع البربري واضحًا وظاهرًا في غرب الأندلس في ظواهر الحياة الريفية والنشاط الزراعي ولذلك كان تأثير البربر أكبر في غرب الأندلس وجنوبه؛ لقربه من موطن البربر الأصلي[٥٧]. ومن الضروري أن نوضح أن الخزف كان مصدرًا هامًّا لنا ودليلًا على تبربر غرب الأندلس، وقد انتشر بالفعل الخزف البربري المتميز بزخارفه المائلة للون الأحمر والبنى في هذا المكان[٥٨].

وإذا نظرنا إلى مدة حكم المسلمين في غرب الأندلس على وجه التحديد نجدها تقدر بحوالي ٥٠٠ سنة؛ حيث استمر الحكم العربي الإسلامي للبرتغال من القرن الثامن الميلادي حتى القرن الثالث عشر الميلادي. وقد تركت هذه الفترة بصمات واضحة إلى يومنا هذا على مستوى اللُّغة والثقافة وأسماء الأماكن وحتى في ملامح الناس. ويُحسَب للفاتحين المسلمين – سواء من العرب أم

البربر– في غرب الأندلس وغيره من البلدان، التي قاموا بفتحها أنهم اعترفوا بالحضارات السابقة لهم، ولم يأنفوا الأخذ منها بما يتلاءم مع أسلوب حياتهم وعادتهم وتقاليدهم وعقيدتهم؛ فلم ينغلقوا حضاريًّا ويتعالوا على أهل البلاد، فخالفوا القاعدة السائدة "ولع المغلوب بتقليد الغالب"، وأصبحت القاعدة الجديدة "أخذ الغالب بأفضل ما يتعلَّمه من المغلوب"؛ فقدَّموا للعالم ثقافة وحضارة إسلامية بالرغم من انتصارهم وتفوُّقِهم عسكريًّا. وعلى الجهة المقابلة نطرح السؤال التالي: ما سبب مساهمة أهل البلاد من المسالمة والمولِّدين والمستعربين في بناء الهوية الثقافية في غرب الأندلس؟ وقد حاولت الباحثة العثور على إجابة منطقية لهذا السؤال فوجدَتْها متمثلة في "سياسة التسامح" التي انتهجها المسلمون بعد الفتح، خاصة أن أغلب مدن غرب الأندلس فُتِحَت صلحاُ دون إراقة دماء، وبالتالي لم يتولَّد حقد دفين أو رغبة في الانتقام؛ مما ترتب عليه دخول عدد كبير من أهل البلاد (المسالمة) في الإسلام ومساهمتهم بشكلٍ كبير في بناء الحضارة الإسلامية.

وهناك الكثير من الأدلة التي يمكن **الاستشهاد بها**، مثل الجانب القضائي – على سبيل المثال لا الحصر– تلخص منشور محفوظ أصدره الوالي المسلم لمدينة قلمرية [٥٩]ينصُّ على أن "... يكون على مسيحيي قوميرة – المقصود هنا قلمرية– "قُمصُ Comes"[٦٠] يلي أمورهم، ويحكم فيهم بالسداد كما كانت عادة المسيحيين في الأحكام، وله أن يفصل في الخصومات التي تقع بينهم، لكنه لا يستطيع الحكم على أحد بالقتل إلا بعد موافقة قاضٍ مسلم، وذلك بأن يؤتَى بالجاني أمام القاضي ويُقرأ نص الحكم عليه بحسب الشريعة المسيحية، فإذا وافق القاضي أمكن تنفيذ الحكم بالقتل وإلا فلا، كما كان لكل مدينة من المدن الصغيرة قاضٍ خاص بها يحكم فيها بالعدل ويكف المنازعات. وإن أهان مسيحي مسلمًا عُومِل بشرع المسلمين، وإن سطا مسيحي على عرض مسلمة أجبر على الإسلام وعلى التزوج بالمرأة التي اعتدى على عرضها وإلا فالقتل، وإن كانت المرأة مُحصَنَة فإن المعتدى على عرضها يقتَل بلا مراجعة... "[٦١].

إضافة إلى ما سبق، تمتع المستعربون بالحرية في أداء طقوسهم الدينية والاحتفال بأعيادهم المسيحية على النحو الذي كانوا يحتفلون به من قبل وارتداء ما يرونه من ملابس؛ فكانوا يرتدون نفس ملابس المسلمين، كما سُمِحَ لهم في بعض الأحيان ببناء كنائس جديدة، بالإضافة إلى تقلُّدهم مناصب عالية في البلاط؛ فدخل بعضهم في عداد جند الأمير[٦٢]. مما يدعم القول بإنه لم يكن هناك أي اضطهادات دينية من قبل المسلمين في الأحوال العادية، لدرجة أن بعض المؤرخين يذكر أن كافة سكان مدن وقرى البرتغال من غير المسلمين يتحدثون اللُّغة العربية، كما ذكر الإدريسي عن مدينة شلب أن قراها وسكانها كانوا يتحدّثون العربية. وقد برع من العرب والمسلمين من سكان البرتغال عدد كبير في مختلف العلوم والآداب؛ يقول الإدريسي عن أهلها وسكان قراها: أنهم عرب من اليمن وغيرها، وهم يتكلمون بالكلام العربي الصريح ويقولون بالشعر وهم فصحاء نبلاء خاصَّتهم وعامّتهم وأهلها أهل كرم[٦٣].

٢. التسمية

يرجع الفضل للعرب في إطلاق اسم برتغال على شمال هذه المنطقة وتسميتها باسم المدينة الواقعة على مصب نهر دويرة في المحيط الأطلنطي، وهو تعريب لاسمها اللاتيني القديم "Portocale"، وكانت البرتغال طبقًا لتقسيم قسطنطين الإداري للأندلس تشمل الجزء الخامس وقاعدته ماردة وأشهر مدنه "باجة Beja" "أكشبونة Ocsonoba" و"يابرة Evora" و"شنترة Cintra" و"شنترين Santarem" و"الأشبونة Lisboa" و"قلمرية Coimbra"، و"قورية Coria"و"شلمنتقة Salamanca و"صمورة Zamora" و"شنت ياقب Santiago De Compostela". ويذكر بعض المؤرخين أن الطابع البربري قد سبق الطابع العربي في غرب الأندلس لكن انتشر الطابعان العربي والبربري وانصهرا مع أهالي ذلك المكان؛ مما سهل عليهم تبنّى عادات وتقاليد الفاتحين إلى حد كبير. والدليل على ذلك تكاثر عددهم وتشكيلهم قوة فعَّالة في المجالين السياسي والاقتصادي، كما أخذت المدينة صناعة الآلات البحرية والتحف

المعدنية والعاجية عن العرب[٦٤]، وهذه كلها عادات عربية أصيلة. كما كان هناك الكثير من المدن التي تقع بغرب الأندلس وتدل أسماؤها ومعالمها على نجاح الحضارة الإسلامية وتأثيرها في هذا المكان، مثل مدينة "لبلة LLipla" غربي إشبيلية، فأسوارها خير شاهد على وجود الهويّة الإسلامية، فهي مزودة بخمسة أبواب بالإضافة إلى مسجدها الذى بُنيت عليه كنيسة سانتا ماريا، وقصرها العربي **الذي** لا تزال أطلاله وكأنها أطلال حصن ضخم. كما تدلل مدينة "شلطيش" – من الجزر الكائنة في موقع نهر إشبيلية– على هذه التأثير؛ فبها سوق وبها صناعة الحديد التي اشتهر العرب بها، وصناعة **المراسي** التي **ترسي** بها السفن والمراكب الحمالة[٦٥].

كما يوجد حذو نهر دويرة عند مصبه بلدة "بورتو" المليئة بالأثار المُشعَّة بالهوية العربية. وعندما **نولي** الأنظار ناحية الجنوب نتنسّم الهوية الإسلامية عند نهر الموندیجو[٦٦] الذى سمَّاه العرب "مُنديق"، وعند مصبه تقع مدينة "قَلمرية" وهى بلدة إسلامية عظيمة، وهذه المنطقة حافلة بعبق التاريخ، فإلى جانب ما خلفه العرب فيها من آثار ما زالت تحتفظ بأسمائها الإسلامية، مثل الناصرة (نازار) والبيازرة (القيازر) والحيزرون (الفايزايرو) وبرزية (فارزيا) والقُايعة أو قلعة باصة (الكوباثا) والجُبيرات (الجوباريتا) وفاطمة (فاتما)[٦٧].

وأكبر دليل على تأثر البرتغال بالهوية الإسلامية قرية خافية من قرى البرتغال تحمل اسم المباركة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله محمد (ص)؛ فتحولت إلى مَحَجٍّ ومشفَى ببركة الاسم الشريف. وأيضًا بطليوس Badajoz بلد عربي لحمًا ودمًا، فقد قام العرب ببنائها وتمدينها وعاشوا فيها قرونًا كثيرة، فتتمتع بالمساجد والحمامات والقصور العربية، فالروح العربية تحوم فوقها، فهي مدينة عظيمة أزلية، كانت دارًا للعلم والأدب والشعر وقاعدة المظفر أبي بكر محمد بن الأفطس[٦٨] (٤٣٧هـ/١٠٤٥م–٤٤٥هـ/١٠٦٣م)، كما كانت بلدًا للفقهاء والعلماء والنحاة واللغويين والأدباء[٦٩]. ويوجد بغرب الأندلس "قنطرة السيف Alcantra"[٧٠] التي تعتبر من عجائب الأرض، وهى حصن منيع على

نفس القنطرة، ومن قنطرة السيف إلى قورية مرحلتان خفيفتان[٧١]، وقورية لها سور منيع، وهى ذاتها أزلية البناء واسعة الفناء من أحصن المعاقل وأحسن المنازل، كثيرة الفواكه وأكثرها الكروم وشجر الزيتون، ومن قورية إلى قلمرية **أربعة أيام**، وتقع قلمرية على نهر منديق Mondego ويجرى على غربيها وعلى مصب هذا النهر حصن "منت ميور Montemayor"[٧٢]، ثم مدينة الأشبونة التي تقع على نهر التاجة وهو نهر طليطلة، وقبالة الأشبونة حصن المعدن الذي يعدّ من عجائب الأرض أيضًا، ومن الأشبونة خرج الفتية المغرورون لركوب البحر؛ ليعرفوا بكل شجاعة ما فيه وإلى أين انتهاؤه؟ وتدلل هذه الرحلة على التقدّم العربي في ميدان الجغرافية، فقد رغبوا في الوقوف على الحقائق الجغرافية عبر الملاحظة والمعاينة بالرغم من مشقة وعناء هذه الرحلة. فبحر الظلمات بحر عظيم هائل غليظ المياه كدر اللون، صعب المظهر، لا يمكن ركوبه لأحد من شدة صعوبته وظلمته وتعاظم أمواجه وكثرة أهواله وهيجان رياحه وتسلط دوابه، وهذا البحر لا يعلم ما خلفه إلا الله، فكانت هذه الرحلة فاتحة خير على العالم أجمع، حيث ساهمت في الحث على الرحلات المتأخرة التي قام بها الملاحون الأوربيون في المحيط الأطلنطي[٧٣]. فيقول الادريسى حصن المعدن سمى بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف بالذهب والتبر، فإذا كان زمن الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذى به إلى انقضاء الشتاء وهو من عجائب الأرض وقد رأيناه، ومن مدينة لشبونة كان خروج المغررين فى ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه ولهم درب منسوب إليهم يعرف بدرب المغرورين إلى آخر الأبد..... [٧٤].

يظهر أن الفتية أمضوا في مياه المحيط ثمانية وثلاثين يومًا قطعوا خلالها نحو ٣٨٠٠ كم، وهي أطول مسافة قُطعت فيه إلى ذلك الحين[٧٥]؛ الأمر الذى يعكس تأثير الطبيعة الأندلسية على ساكني هذا الإقليم؛ مما أكسبهم جرأة وشجاعة للقيام بمثل هذه الحركات الاستكشافية.

نستكمل الحديث عن مدن غرب الأندلس بمدينة "شنتمرية الغرب Santa María del Algarve" التي تعتبر من المراكز الحضارية العربية في البرتغال، وتعرف اليوم باسم مدينة فار، ولها شأن كبير عند العرب؛ فبها الكثير من الأشياء التي تدلل على وجود حضارة عربية منها شكل وتخطيط المدينة بالطريقة العربية، والأبواب المفتوحة بالأسوار المنقولة عن العرب، وتوافر دور العبادة الخاصة بالمسلمين بها مثل المساجد، وتوافر المراكب الصادرة والواردة بها، وبعض الزراعات التي يرجع الفضل للعرب في وجودها بمنطقة فارو، مثل التين والأعناب والعود المتوفر بجبالها ويُحمَل منها إلى كل الجهات، ومن عجائبها ما ذكره الحميري: "... عين تنفجر بماء كثير يبصر ذلك الناس عيانا، فإذا قربوا منها ووقفوا عليها انقطع جريانها فلا تنبض بقطرة، فإذا تباعد الناس عنها عادت إلى حالها... "[٧٦].

وأيضًا مدينة شلب Silves التي فاقت جميع بلاد الأندلس بكثرة الخيرات والصيود الكثيرة البرية والبحرية، وينسب لها الشاعر الكبير أبو بكر بن عمار وزير المعتمد بن عباد[٧٧]. فقد عرفت المدينة أجمل أيام مجدها في عهد المعتمد بن عباد، وتظهر هويتها العربية في سورها العربي الحصين وغلالها وأسواقها، وأهم ما بها سكانها؛ فهم من عرب اليمن وغيرهم، بالإضافة إلى شجر التفاح العجيب الذى ينبت بها تفوح منه رائحة العود، بالإضافة إلى تخطيط منازلها كثيرة الألوان ذات الطابق أو الطابقين. وهذه المدينة بالرغم من عزلتها إلا أن العرب جعلوها منفتحة عن طريق مدخلها فوق النهر؛ حيث قام العرب بعمل قنطرة حجرية ذات أربعة عقود تصل للمدينة، بالإضافة إلى قصر شلب الذى يقع داخل حصن المدينة للأمير أو الحاكم العربي كعادة العرب[٧٨].

ومدينة **باجة** التي يظهر بها أثر الأيدي العاملة العربية سواء في المرتفعات أو البسائط؛ وتنمو بها الأشجار والمحاصيل فوق التلال والخضرة والتربة السوداء والحقول التي تغطيها المحاصيل المختلفة، وقد اختار المسلمون هذا الاسم لباجة ومعناه: الصلح، وإليها ينسب الإمام القاضي أبو الوليد الباجي

وسليمان بن خلف[٧٩]، ومن بصمات العرب فيها عقد مزدوج يقع على مقربة من دير كونسيسوا ذات الطراز العربي، كما يوجد في متحف باجة طائفة من التحف الأندلسية، منها قطعة حجرية هي جزء من شاهد قبر عليه كلمات عربية، كما يوجد أربع لوحات خشبية عليها كتابات عربية ثلاثة منها سُطرت عليها آيات قرانية والرابعة بعض أدعية إسلامية[٨٠]. ومدينة **يابرة**، فبالرغم من أصلها الروماني إلا أن بها آثارًا عربية ومنها الشاعر الكبير أبي محمد عبد المجيد بن عبدون اليابرى، العالم المتبحر في جميع الفنون، وهو من أهلها وما زال اسمه مقرونا باسمها في كتب التاريخ والأدب البرتغالي، بالإضافة إلى شوارعها المليئة بالأشجار وأسوارها التي أقامها العرب ومسجدها الجامع والزخارف العربية التي توجد في متحف يابرة؛ ففيه ثلاث لوحات من الرخام عليها كتابة وزخارف عربية[٨١].

ومدينة **شنترة** Cintra التي يوجد بها قصر الحراسة كاستيلو مورو والذى يضم أبهاء وغرفا أندلسية، وبه قاعة الطعام، وقد زُيِّنت جدرانها بالزليج[٨٢]، وفى وسطها نافورة عربية وسقفها مُزيَّن بالمقرصنات الخشنة العربية وبهو الاستقبال الكبير الذي زين عرشه بمقرصنات عربية، وبوسط القصر مصلًّى كبير مسقوف بالخشب كان مسجدًا للمسلمين وتحول لمصَلًّى نصراني، كما يوجد بها حمام على الطراز العربي، ويبدو قصر شنترة على وجه العموم إسلامي الطراز. ومدينة **شنترين** Santarem قاصية أرض الإسلام التي يكفيها فخرًا أنها أنجبت أديبًا أندلسيًّا هو أبو الحسن بن بسام التغلبي الشنتريني صاحب الموسوعة المعروفة "الذخيرة في محاسن الجزيرة"، وتحت سورها في نهاية الحديقة يوجد عِقد عربي يسمَّى عِقد أتمارما[٨٣].

فضلاً عن القسم الشرقي من **الأشبونة** يسمَّى ألفاما، وهو الموضع الذى توجد به عين ماء حار، وهذا الحى عربي صرف لا زال أهله حتى أوائل القرن الخامس عشر عربًا، بالإضافة إلى الفادو وهو تحريف للفظ العربي معروف هو: الحَدْو، أي: الحداء هذا هو حداء بلادنا عبر البحار والعصور ووصل إلينا

في غلاف برتغالي، وعلى ساحل الأطلنطي يردِّدون حداء أهل بوادينا، وهو عبارة عن غناء حزين هادئ يخيل إليك أن منشده يهمس به لنفسه، ولعلك تسمعه وأنت تسلك شوارع البرتغال[٨٤].

٣. اللّغة

ظهر تأثير العنصر العربى على نطاق واسع ؛حيث امتد إلى اللغة وظهرت بصماته جلية فى اللهجة والمتحدثين، كما نجدها مترجمة على الجدران والحوائط البرتغالية، فنجد لغة العرب مطبوعة على البيوت والمساجد وغيرها. وقد جمع الأديب جان دي صوصة الفرنسيسكانى الألفاظ البرتغالية المشتقة من العربية في معجم من مائة وستين صفحة، وعدَّدَ دافيدس لوبس أسماء الأماكن العربية في كتاب من ٤٤١ صفحة، وأوضح ما تكون العربية بيانًا في المفردات التي تبدأ بأل التعريف والمصطلحات الدالة على المرافق العامة والمناصب والمهن والحرف مثل: المنارة والمد والوزير والمتصرف والريس... وغيرها. وفى الأدب قام البرتغاليون بترجمة العديد من القصص إلى البرتغالية، مثل ألف ليلة وليلة، كما استفاد البرتغاليون من علوم العرب في الرياضيات والفلك والخرائط والجغرافية وبناء السفن، كما كان بالبرتغال فقهاء وعلماء يعلمون الأهالي أصول الإسلام ويجادلون النصارى فيها، بالإضافة إلى وجود مجلس أعيان من المسلمين في عهد الفونسو هنريكز Afonso Henriques يستشيرهم في الشؤون الخطيرة مستعينًا بالمترجمين العرب والبرتغاليين في شنتمرية، والعثور على مكتبة عربية نفيسة في يابرة[٨٥].

ومنذ استقرار العرب بما يطلق عليه اليوم جنوب البرتغال نشروا فيه ثقافتهم، ومن أعلام الثقافة العربية في البرتغال ابن عمار وابن عبدون وابن سارة فى الشعر، وفى اللُّغة الأعلم الشنتمرى وابن السيد وابن السراج، وفى التاريخ ابن صاحب الصلاة وابن بسام صاحب الذخيرة، وفى الفلسفة ابن السّيد مصنِّف كتاب "الحدائق" وابن قسى مؤلّف كتاب "النعلين". كما أبدع المسلمون في فنّ العمارة، كجامع لشبونة المشهور بقبابه، وجامع مرتولا بمحرابه، وجامع

الشراجيب بشلب الذى تغنَّى به الشعراء، وقصر يابرة، ومتحف لشبونة المليء بالزخارف المتبقية من قصور العرب وجوامعهم وأحجار أثرية وشواهد قبور وقطع خزف ومجموعة نقود، كما يضمّ المتحف مجموعة من الركائب الملكيّة، وهى طائفة من العربات الملكية[٨٦].

كما كانت وظيفة المؤدّب في غرب الأندلس دليلًا واضحًا على الهوية الإسلامية، لما له من تأثير على اللُّغة؛ فقد كان المؤدِّب يقوم بتعليم اللّغة العربية والشعر قبل أن يقوم بتحفيظ القرآن الكريم بحيث يتزود الصبيُّ بمادة لغوية كافية تتيح له حفظ القرآن بوعى وفهم، بالإضافة إلى تعليم الفتيات على يد مؤدِّبات أديبات، كل هذه عادات عربية أصيلة، مثل: مريم بنت أبى يعقوب الفيصولى الشلبي الشاعرة التي كانت تعلم النساء فنون الشعر والأدب. وقد ازدهرت الحياة العلمية في غرب الأندلس بسبب العلماء الوافدين إليها، مثل: أبى بكر خالد بن أيمن الأنصاري المتقدّم في علم الخبر والمثل، بالإضافة إلى حرفة إضحاك الملوك التي كانت شائعة في الأندلس في هذا الوقت، وهذه صفة من صفات العرب؛ حيث إنهم أهل بشاشة، وتواضع وطيبة ويميلون إلى الدعة. وأكبر دليل على التأثير العربي خروج كثير من أبناء هذا الإقليم علماء في اللُّغة العربية والنحو، مثل ابن السيد البطليوسي وسعيد بن عثمان بن أبى سعيد بن عمر الأموي من أهل قرطبة وأبى محمد عبد الله بن رضا بن خالد بن عبد الله بن رضا الكاتب اليابرى وابن السيد البطليوسي النحوي[٨٧].

ويرجع الفضل لبنى الأفطس في ازدهار الحياة العلمية بغرب الأندلس؛ حيث كانت منطقة غرب الأندلس أيام بني الأفطس أعيادًا ومواسم، كما كانت ملجأ الأدباء وملاذ الشعراء والكُتَّاب؛ لأن المظفر محمد كان أحرص الناس على جمع علوم الأدب؛ ولا سيما النحو والشعر ونوادر الأخبار وعيون التاريخ. ومن أشهر فقهاء الغرب الأندلسي: خلف بن مروان بن أمية، أصله من صخرة حيوة بغرب الأندلس، هاجر إلى قرطبة ثم عاد إلى وطنه في الغرب ليُنهي حياته. والفقيه الأديب: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبى

الباجي، المتوفى سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م من أعظم أدباء غرب الأندلس، برز في سماء النثر والنظم واشتغل بالفقه ورحل للمشرق في سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م؛ فزار مصر والشام والعراق، واستغرقت رحلته ثلاثة عشر عامًا وعاد إلى بلده[٨٨].

وهنا يتجلّى لنا مدى التأثير والتأثر في هذا الاقليم الساحر الذى يترك أثرًا في نفس قاطنيه، فيرغبون أن تنتهى حياتهم بغرب الأندلس من جماله ولتوافر كل الظروف التي تؤهلهم للإبداع به.

لذلك تعلمها المستعربون واليهود للوصول إلى المراكز الإدارية، واهتموا بدراسة التراث العربي من شعر وأدب وفلسفة، فنسوا لغتهم؛ مما أدى إلى ظهور جماعة من المستعربين الناقمين على الإسلام والعربية أرادوا طمس الهوية العربية ووضع حد لهذا الانتشار، فكانوا يسبون الرسول ويستخِفُّون بالإسلام رغم معرفتهم أن عقوبة ذلك الموت؛ فاعتبروا ذلك استشهادًا[٨٩].

٤. بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية فى غرب الأندلس

تركت الهوية الإسلامية آثارًا واضحة في غرب الأندلس، وقد يظن البعض أن البرتغال لم تكن إسلامية بالقدر الذى كانت به إسبانيا؛ لقلة الآثار المعمارية هناك، والحقيقة أن المسلمين ظلوا في جنوب البرتغال حتى أواخر القرن الثالث عشر ولم يقصروا في هذا الشأن، لكن البرتغاليين بتطرفهم المعروف لم يتركوا أثرًا إسلاميًّا أو عربيًّا إلا حاولوا طمس معالمه؛ بيد أن زائر البرتغال اليوم يرى من آثار الفترة الإسلامية شيئًا كثيرًا من عادات الناس وملابسهم وتقاليدهم، وخاصة في الجنوب[٩٠].

ومن أبرز العادات، اقتران ذكر الملك بعبارة "حفظه الله Que Dios guarda"، وفى الدعوات الجنائزية يقولون عن المتوفى "رحمه الله"، كما أن التحية عندهم بتقبيل الكتف، ومن عادة أهل غرب الأندلس لبس العمائم، فلا تكاد ترى فيهم قاضيًا ولا فقيهًا مشارًا إليه إلا وهو بعمامة. ومن العادات الموروثة عن المسلمين في البرتغال الدفن والوصايا بأماكن الدفن، وهى كلها

عادات إسلامية؛ فكان دفن الموتى يتمّ في مقابر المدن وأرباضها وبالبوادي والحصون، كما توجد مقابر خاصة بالعوام بخلاف المقابر العامة في تجمعاتهم السكنية، مثل مقبرة منية الخياطين بقرطبة، كما وجدت مقابر خاصَّة لمرضى الجذام مثل مقبرة المجذومين ببطليوس بغرب الأندلس[٩١].

أما بالنسبة للعبيد في البرتغال المسلمة فقد عُوملوا معاملة كريمة، بالإضافة إلى حماية المرأة المربية والمرضعة لابن سيِّدها الذى هو ابنها، وقد أطلقوا على هذه المرأة "أمَة" ويقوم سيدها بتكريمها وتكريم أسرتها، كما يمُنُّ عليها بالحرية وإهدائها قطعًا من الأرض، وذلك طبقًا للقوانين الإسلامية[٩٢].

والجدير بالذكر أن منطقة غرب الأندلس تميزت بوضع عسكري ومالي خاص، لأنها تموج بالصراعات الداخلية والخارجية، لذلك كان يحكمها قادة عسكريون بدلًا من عمال الثغور؛ ليتمكنوا من الدفاع عنها، كما كان لها معاملة ماليّة خاصة بالنسبة للضرائب والعشور إذ كان يراعَى أن أهل هذه المنطقة ينفقون الكثير من أموالهم في الدفاع عن أراضيهم والتسليح وإقامة الحصون للدفاع عن أراضيهم. كما كان يفد على غرب الأندلس المجاهدون والمرابطون؛ لحماية الثغور. ويكفى العرب فخرا أن بعد استرداد البرتغاليين لغرب الأندلس جعلوا من العاصمة الإسلامية الاشبونة عاصمة لهم مستفيدين من ازدهارها حضاريًا في الملاحة والتجارة والإدارة كما حافظوا على القوانيين بحالتها دون تغيير وظلت مناصب مثل القائد والقاضي والمحتسب تحمل نفس المسمى تحت حكم البرتغاليين ويكاد يكون القانون الجنائي للبرتغاليين في العصور الوسطى عربيًا[٩٣] في مواصفاته الامر الذى يعد دليلًا دامغًا على أن البرتغاليين رغم ما أظهروه من حقد على الحضارة الإسلامية لم يكونوا قادرين على أن يتخلوا عن نظمها الإدارية والقضائية. ولم يكتفوا بذلك بل استعانوا بالشخصيات البارزة عند المسلمين لثقتهم بحسن إدارة المسلمين للبلاد لدرجة أننا نجد شخصية مثل ششلند "سلندودافيدس" فإنه تربى في قصور العرب بغرب الأندلس وعلا شأنه حتى استخدمه الأمراء في السفارات مع الممالك المسيحية، وأعجبوا به كثيرًا

لمعرفته باللّغة العربية وأحوال المسلمين، فقاموا بتقريبه منهم، وحكم قلمرية ونال احترام المسلمين والمسيحيين ولقب بالوزير على النمط الإسلامي، وهو مستشار الملك فرناندو Ferdinand فهو الذي أشار عليه بضرورة غزو قلمرية. وقد قال سسنندو: "... أن تحرير إسبانيا لا يتم إلا عندما تكون قوى الإسلام أضعف فأضعف ولا مال ولا رجال لحروبهم عندما نستولي على الأرض بلا عتاد ولا دماء"[٩٤]. وهذا دليل على عِظم الحضارة الإسلامية لحرص رجال الممالك المسيحية على أن يحكم بعض مدنهم مما تربى ونشأ في قلب العرب لعلمهم جيدًا في قدرته وحسن إدارته للبلاد وحسن تفكيره وتدبيره.

النتائج

- تشكَّلت هوية غرب الأندلس بفضل تعدد الطوائف السكانية هناك؛ فلم تكن حكرا على جنس دون الآخر، معنى ذلك أنها نتاج انصهار كل من العرب والبربر والمولّدين والمستعربين وغيرهم من العناصر، كما كان للممالك المسيحية دور كبير في دفع وتيرة تشكيل الهوية لا يقل أهمية عن الطوائف السابقة؛ لمحاولاتهم الدائمة السيطرة على مدن غرب الأندلس؛ الأمر الذي جعل المسلمين يحتاطون أكثر ويولون هذه الأماكن حمايتهم ورعايتهم، كما كان أهلها أكثر تمسكًا بها، لذلك كان الأثر الإسلامي واضحًا بشكل كبير في المدن والحصون والقلاع.
وبالتالي لم يكن هناك أي صدمة حضارية (بمعنى إحساسهم بالغربة في غرب الأندلس ورغبتهم الملحة في الرجوع لبلادهم).
- سكن البربر منطقة غرب الأندلس لطبيعتها الجبلية الجاذبة لهم، وتشابه ظروف المعيشة هناك، كما كان الحال في المغرب العربي، كما كانت منطقة الغرب الأندلسي منطقة شد وجذب للممالك المسيحية؛ لطمعهم في المنطقة لتماشيها مع مناطق سكنهم، فنجد الممالك المسيحية تعيش بالجبال في شمال إسبانيا. ولقلة عدد السكان العرب بها، فكانت الممالك

المسيحية تعتبر غرب الأندلس امتدادًا لأرضهم ومعبرا هاما لهم للدخول إلى وسط الأندلس، لذلك كان سقوط غرب الأندلس هو المسمار الدى دُقَّ في تابوت الحضارة الإسلامية في الأندلس؛ لما تتمتع به من خصوصية جغرافية وحضارية وسياسية.

- لعبت الطبيعة دورًا كبيرًا في تشكيل هوية البرتغال الإسلامية، فقد حبا الله المكان بالبحار والأنهار والجبال التي فصلت غرب الأندلس عن وسطه بمجموعة من السلاسل الجبلية، جعلته شبه منعزل عن باقي الأندلس، هذه الطبيعة الجغرافية كانت مصدر جذب للشعراء والفقهاء والأدباء للإقامة والإبداع فيها، فلم تكن مركز طرد بالعكس كانت مركز جذب على الرغم من كونها إقليمًا حدوديًّا وبحريًّا.
- وقد همش المؤرخون البرتغاليون دور العرب في قيام الهوية الإسلامية بغرب الأندلس، وغالوا في تعظيم دور الرومان في المنطقة، رغم أننا لم نسمع عن شخصية رومانية واحدة تحاكى شهرة المفكرين العرب في غرب الأندلس، بل على العكس وجد الكثير من الشخصيات العربية المتميزة التي وصلت شهرتها إلى الآفاق على الرغم من محاولات البرتغاليين المستميتة للتخلص من الميراث الثقافي الإسلامي لغرب الأندلس، ومن أخطر النتائج التي ترتبت على ذلك ندرة المادة العلمية التي تتحدث عن العرب في البرتغال.
- ومن الأشياء التي تحسب للعرب والتي جعلتهم يقيمون حضارة إسلامية في غرب الأندلس، اعترافهم بالحضارات السابقة لهم وقيامهم بالحفاظ عليها ورعايتها في البلاد التي فتحوها؛ فلم يأنفوا الأخذ منها بما يتلاءم مع أسلوب حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم وعقيدتهم وأضافوا عليها، وأخرجوا في النهاية حضارة إسلامية يشهدها العالم.

الهوامش

١) **هذا البحث أُلْقِيَ كفكرة فى أشغال الملتقى الدولى الحادي عشر الذى نظمته الجمعية التونسية المتوسطية للدراسات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية بالتعاون مع المركز التونسي العالمى للدراسات والبحوث والتنمية حول موضوع الحدود والمناطق الحدودية بمدينة المنستير (تونس) ٢٤-٢٥-٢٦ نوفمبر ٢٠١٦م.** "

٢) الصفدي؛ صلاح الدين بن خليل ابن أيبك "ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط، ج٤، دار احياء التراث العربي الطبعة الأولي بيروت، ٢٠٠٠، ص ١٧١؛ آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢٣٩؛ سحر سالم، ، **مظاهر الحضارة في بطليوس الإسلامية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، ج١، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ص١٧٦.

٣) **و تعنى التمايز أو التفرّد. لمزيد من التفاصيل انظر الحسن حما، واعمر مزواضي، الإبستيمولوجيا وإسلامية المعرفة: مقاربات في المنهج، أعمال المنتدى الفكرى الثامن دورة إسماعيل راجى الفاروقى جامعة ابن طفيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مركز نماء للدراسات والبحوث ٢٠١٥، الجزائر، ص١٠٠.**

٤) أشرف محمد محد عبيد، **قضية الهوية الوطنية في الخطاب السياسي السوداني**، المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٦، ص٢٨؛ باسم رزق عدلي مرزوق، **الهوية الأفريقية في الفكر السياسي الأفريقي**: دراسة مقارنة، المكتب العربي للمعارف، ص١٤-١٥.

٥) محمد طاهر حكيم، **الشباب والهوية الإسلامية**، ص١-٥.

٦) جيلالي بوبكر، **الهوية الثقافية**، مقال بمجلة المثقف (العدد: ٢٩٥٨ السبت ١١ - ١٠ - ٢٠١٤م).

٧) ياسر عبد الكريم الحوراني، **الوجيز في الثقافة الإسلامية**، جامعة الباحة، ٢٠٠٧، ص ١٣.

٨) ستتركز الدراسة حول أشهر مدن غر ب الأندلس –الذى يتكون من مجموعة مدن؛ لأن المدينة تعتبر وحدة حضارية متكاملة ومهمة يكشف واقعها الحضاري عن قدرات مجتمعها وإنجازاته الحضارية؛ فتصبح المركز الإشعاعي للحضارة.

٩) والجُرف منحدر صخرى شاهق وبخاصة عند الشاطىء وشق الوادى إذا حفر الماء في أسفله، معناها عند العرب الغرب، أي The West، وهى المنطقة الواقعة في أقصى جنوب البرتغال، فقد كان القسم الجنوبي من ولاية لوزيتانا وهو الذى بقى بأيدي المسلمين يعرف بولاية الغرب الأندلسية، أو غرب الأندلس.

المعجم الوسيط، لمجموعة مؤلفين، تحقيق مجمع اللغة العربية، ج١، ص١١٨، مادة جرف، دار الدعوة؛ محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية)**، ج٤، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣، ص٥٢٢؛ فالح حنظل، **العرب والبرتغال في التاريخ**، الطبعة الأولى، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٢١، ٢٢.

١٠) نهر منهو (منيو)؛ هو يصب في المحيط الأطلنطي، الذى تخترقه جليقية من الشرق إلى الغرب ويبلغ طوله ٣٠٠ميل.

الإدريسي ؛ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج٥، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت، ص٥٥٠؛ مجموعة من الأساتذة، **دائرة المعارف الإسلامية**، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، الجزء الخامس، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ص١٣١٥.

١١) وادى آنة: هو النهر الذي تقع عليه بطليوس Badajoz وماردة Merida، ويفصل بين إسبانيا والبرتغال. ووصفه الزهري بالنهر الأعظم، وسماه وادي يانة، بينما سماه البكري وادي آنة، ويسمى أحيانًا بنهر ماردة لأنه اخترقها.

ابن حيان؛ أبو مروان حيان بن خلف، **المقتبس في تاريخ أنباء أهل الأندلس**، تحقيق محمود على مكي، ص٢٤٧؛ أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الزهري، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق الأستاذ محمد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدنية، القاهرة، ص٨٩-٩٧؛ عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب البكري، **جغرافية الأندلس وأروبا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت، ١٩٦٨م، ص١٠٠؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي**، الجزء الأول، مؤسسة شباب الجامعة، ص١٧٤.

١٢) نهر الوادي: هو نهر عظيم تقع عليه قرطبة، كما تقع عليه قنطرة عظيمة ومن أشهر

مدنه قرطبة Cordoba، وإشبيلية Sevilla، ومالقة Malga، وإستجه، وجيان.
لمزيد من التفاصيل انظر الحميري؛ أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق احسان عباس، الطبعة الأولى ١٩٧٥م، ص٤٥٨؛ أحمد مختار العبادي، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠١م، ص٢٢.

١٣) نهر التاجه؛ يقع شمال مدينة الأشبونة، وهو نهر طليطلة، وسعته ستة أميال، ويدخله المد والجزر كثيرا، وهو نهر عظيم يشق طليطلة، قصبة الأندلس في الزمان الأقدم يخرج من بلاد الجلالقة في البحر الرومي، وتقع عليه قنطرة عظيمة، وكانت تسمى قنطرة السيف. وهذا النهر قد حظي بإعجاب الكثير من الجغرافيين، فذكروا أنه تقع عليه مدن للمسلمين ورساتيق، ويعرف بوادي التاجه، وهو يشق أكثر جليقة، ويقع بين المعدن Almada ولشبونة، وعند مصبه تقع مدينة المعدن. وذكره بعض المؤرخين خطأ باسم نهر باجه، ومنهم ابن حوقل، لكنه يعرف بنهر التاجه.

الإدريسي، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٣م، ص١٨٣؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٤١؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي**، ص ١٧٥، ١٧٦.

J. Vila Valenti. , geografia de Espana ,Ediciones Barcelona, Espana, 1972, p93

١٤) الغزاة الشماليون المعرفون في المصادر الإسلامية باسم الاردمانيين أو المجوس، وهم يقصد بهم النورمان؛ حيث إنه من عادة الأسبان قلب النون إلى همزة فتم تحريف لفظة النورمان إلى الآردمانيين. والنورمان جنس آرى قديم سكن شبه جزيرة اسكندیناوة وجوتلند وما يجاورها من الجزر منذ أزمان قديمة.

السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٥٢.

١٥) مقدمة كتاب العبر، دار الشعب، القاهرة، ص٣١٣.

١٦) بلنسية: تقع على الساحل الشرقي للأندلس، وهى تتميز بوفرة ثرواتها الزراعية وخيراتها. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، طبعة بيروت، ١٩٥٥-

١٩٥٧م، ص٤٩٠؛ ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، الجزء الأول، ص٢٩٨.

١٧) باجة الأندلس: فهي من أقدم مدائنها، بنيت في أيام الأقاصرة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وهي من الكور المجندة، نزلها جند مصر وكان لواؤهم في الميسرة بعد جند فلسطين، وهم النازلون بشذونة، فحمل الأمير عبد الرحمن بن معاوية لواءهم، وأسقط جندهم، وأخمل ذكرهم.

ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر "٦٥٨هـ"، **الحُلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، الجزء الثاني، دار المعارف، ص٢٠٤؛الحميري، **مصدر سابق**، ص٢٥؛ لمزيد من التفاصيل انظر سيف الإسلام أحمد السمان، **مدينة باجة في العصر الإسلامي**، رسالة ماجستير غير منشورة، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص٢٣-٣٣.

١٨) الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٤٥٦؛ سحر سالم، **مظاهر الحضارة في بطليوس الإسلامية**، ص٣٠١-٣٠٢؛ خضرة جمال توفيق عبد الرحمن، **القلاع والحصون في غرب الأندلس**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠١٦م، ص١٢-١٤.

١٩) ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، **(المقدمة)** دار الشعب، القاهرة، ص٣١٣؛ مؤلف مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، نشر وتحقيق: لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣م. ص١٠؛ الإدريسي، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٣م. ، ص١٧٣-١٨٨؛ **هارون يحيى، العظمة في كل مكان**، د. ت، ص٢٢.

٢٠) الزهري، **كتاب الجغرافية**، ص٨٩-٩٧.

٢١) نهر دويرة Duero: هو أعظم أنهار شبه الجزيرة الإيبيرية، وينبع من فوق جبال ناجرة في الشمال ويمتد غربًا ويصب في المحيط الأطلنطي قرب مدينة البرتقال وينحدر من جبال قشتالة ويسميه العرب بالوادي الجوفي.

ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي)، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق عبد الهادي التازى، دار الغرب الإسلامي، د، ت، ص٦٧-٩٦؛ عبد المحسن طه رمضان،

الحروب الصليبية في الأندلس، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١، ص١٣١.

٢٢) فحص بلاطة: يقع ما بين الأشبونة وشنترين، وكلمة بلاطة تطلق على الأرض الممهدة، أو على مراكز عمرانية تقع على الجادة الرومانية، وهو مصطلح شائع عند المسلمين. ويقول أهل الأشبونة، وأكثر أهل الغرب:(إن الحنطة تزرع بهذا الفحص فتقيم في الأرض أربعين يومًا فتحصد، وإن الكيل الواحد منها يزيد أو ينقص يعطي مائة كيل).

ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٦، ص٣١؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٠٣؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس، الجزء الأول، ص١٧٧.

٢٣) ليزيرياس: يقال أنه: بالمغرب من أرض الأندلس مواضع عدة تسمى الفحص، وسألت بعض أهل الأندلس: ما تعنون به ؟ فقال: كل موضع يسكن سهلًا كان أو جبلًا بشرط أن يزرع نسميه فحصًا، ثم صار علمًا لعدة مواضع، وليزيرياس: هو إقليم فسيح يمتد بحذاء نهر التاجه حتى شنترين، وتكسوه الخضرة، وتكثر به المناظر الطبيعية الرائعة.

الإدريسي، **المغرب وأرض السودان**، ص١٧٥؛ لسان الدين بن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م، ص٢٨؛ سحر سالم، **المرجع السابق**، ج١، ص١٧٧.

٢٤) فحص البلوط: يطلق هذا الاسم على مساحة من الأرض تقع شمال قرطبة، وكان القسم الجنوبي منه يسمى المدور نسبة إلى حصن المدور، ويسميه الإدريسي إقليم البلالطة، وفيه حصون كثيرة ومن أكبرها بطروش وغافق وأبى هارون.

الإدريسي، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، ص١٧٥؛ حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولى، ١٩٨٦م، ص٢٥٩-٢٦٠؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس**، ج١، ص١٧٩.

٢٥) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق إحسان عباس، المجلد الأول، دار صادر بيروت، ١٩٨٨م، ص١٤٠-١٦٧.

٢٦) الثغر: كلمة عربية جمعها ثغور، ومعناها كل مكان قريب لمنطقة العدو، واستعمل الأندلسيون هذا المصطلح ليسموا الحدود الأندلسية المجاورة لإسبانية النصرانية وبذلك وجدت في الأندلس ثلاثو ثغور تقع على حدود إسبانية النصرانية، وهي الثغر الأعلى أو الأقصى، وعاصمته سرقسطة، والثغر الأوسط، وعاصمته مدينة سالم ثم طليطلة، وهو يواجه مملكتي قشتالة وليون، والثغر الأدنى ويقع بين نهري دويرة ونهر التاجه، وكانت عاصمته طليطلة ثم قورية.

عبد الرحمن الحجي، **التاريخ الأندلسي**، الطبعة الثانية، ص٣٤؛ عبد الرحمن الحجي، **العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية**، المجمع الثقافي، أبو ظبى، ٢٠٠٤م، ص٩٨.

٢٧) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكى، ص٣٥١؛ سحر سالم، **حضارة بطليوس**، ص٣١٢.

٢٨) من خواصها أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي أربعين يومًا من زراعته، وإن التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر، قال لي أبو عبد الله الباكوري، وكان ثقة: أبصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من أهل شنترة أهدى إليه أربعًا من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها، دور كل واحدة خمسة أشبار، وذكر الرجل أن المعتاد عندهم أقل من هذا، فإذا أرادوا أن يجيء بهذا العظم قطعوا أصلها وأبقوا منه عشرًا أو أقل وجعلوا تحتها دعامات من الخشب، انتهى.

الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٣٤٧؛ المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص١٧-١٨.

٢٩) الحميري، **صفة الجزيرة**، ص١٠٣.

٣٠) الحميري، **صفة الجزيرة**، ص ٤٣٥؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٦٤؛ الإدريسي، **المغرب**، ص ١٨٦.

٣١) **كانت تستعمل في الفصوص التي توضع في الأختام، وقد تحفر عليه صورة أو خاتم. الزهري، مصدر سابق**، ص٨٥؛ محمد عبده حتاملة، **موسوعة الديار الأندلسية**، ٩٤٢-٩٤٣؛ محمد عبدالوهاب حلاوة، **قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي والخامس الهجري الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م،

ص١٠٣-٣٠٨.

٣٢) الزهري، **مصدر سابق**، ص٨٥؛ محمد عبده حتاملة، **موسوعة الديار الأندلسية، ٩٤٢-٩٤٣**؛ محمد **عبدالوهاب حلاوة، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي والخامس الهجري الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م، ص١٠٣-٣٠٨.**

٣٣) القزويني، زكريا بن محمد بن محمد، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ، ص٤٩٧.

٣٤) أبو عبد الله محمد بن غالب البلبيسي ابن غالب، **قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة**، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معرفة المخطوطات العربية، ج٢، ١٩٥٥م، ص٢٩١-٢٩٨؛ خوسيه لويس دى ماتوش، **وصف مدينة لشبونة**، ص٥-٩.

٣٥) ابن غالب، **فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس**، ص٢٩١؛ مؤلف مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص٥٤؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، تحقيق احسان عباس، ص١٤٣.

٣٦) قصر أبى دانس يقع بغربي الأندلس، فيه كانت الوقيعة على المسلمين للروم، وأعان أهل الأشبونة وغيرها من مملكة الفونسو هنريكز، فأخذوا في نقب الأرض تحت الحصن، إلى أن قنطوا وأفضى الناس إلى التهلكة، وبلغ الأمر إلى الولاة الذين في غرب الأندلس وإشبيلية وقرطبة وجيان، فتجهزوا لدفاع العدو، وجاء منهم جيش عظيم لكنهم تخاذلوا، فكانت الهزيمة عليهم وولوا منهزمين، ووقع القتل والأسر، ولم يبرز للمسلمين من الروم إلا نحو سبعين فارسًا، ورأى أهل الحصن ذلك فأيقنوا بالتغلب عليهم.

الحميري، **مصدر سابق**، ص١٠٦؛ ابن حيان، **المقتبس**، ج٣، ص٢٥٤؛ الإدريسي، **المغرب وأرض السودان**، ص١٧٥؛ سحر سالم، **مرجع سابق**، ج١، ص١٩٧.

٣٧) مؤلف مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص١٣؛ القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص ٥٤٢؛ المقري، **نفح الطيب**، تحقيق احسان عباس، ج١، ص١٤٣-١٥٢.

٣٨) ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م، قسم ٤، ج١، ص١٩-٤٠.

٣٩) البيزرة: هو علم أحوال الطيور الجارحة، كما البيطرة علم أحوال الحيوان. والكلمة معربة وهى من قولهم (بيزار)- معرب من الفارسية -(وبازدار وبازيار) أى حامل البازى وصاحبه والجمع (بيازرة). وسحر سالم، **مظاهر الحضارة**، ص٢٦٩، ٢٧٠؛ يوسف زيدان: **علم البيزرة** -مجلة الفيصل العدد ٢٠٣، جمادى الأولى ١٤١٤هـ ص١٠٤

٤٠) الإدريسي، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، ص١٨٣. ؛ سحر سالم، **حضارة بطليوس**، ص٣٣٩.

٤١) الإدريسي، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، ص١٨١-١٨٣؛ سحر سالم، **حضارة بطليوس**، ص٣٤٠-٤٥٣.

٤٢) الإدريسي، **المصدر السابق**، ص١٨٣-٢٠٠.

٤٣) محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي، **فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس**، نشر وتحقيق لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات، ج٢، ١٩٥٥، ص٢٨١؛ سحر سالم، **المرجع السابق**، ص٣٤٣-٣٥٠.

٤٤) النُّعْرَة بالضمِّ وكهُمزَة الخَيْشوم ومنها يَنْعَرُ الناعِرُ. أو صَوَّت لخروج الدمِ فهو يَنْعِرُ نُعورًا ونَعيرًا. نَعَرَ فلانٌ في البلاد: ذَهَبَ. والنَّعِيرُ:الصُّراخ والصِّياح في حَرْب أو شرٍّ. وامرأةٌ نَعَّارةٌ كشَدّاد صَخَّابةٌ فاحشةٌ. والنَّاعور: عِرْقٌ لا يَرْقَأُ دَمُه، وقد نَعَرَ العِرقُ بالدَّم. النَّاعور:جَناحُ الرَّحى. والنَّاعورة بهاءٍ: الدُّولاب لنَعيرِه، وجمعُه النَّواعير. والنَّاعورة: دَلْوٌ يُستَقَى بها.

الزبيدي، **تاج العروس**، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، فصل: النون مع الراء، ج١٤، ص٢٥٧، ٢٥٦.

٤٥) الإدريسي، **المغرب وأرض السودان**، ص١٨٣؛ سحر سالم، **مظاهر الحضارة في بطليوس**، ص٣١٤-٣١٦-٣٥٠.

٤٦) ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص١٦٥؛ سحر سالم، **مظاهر الحضارة في بطليوس الإسلامية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص١٣٧.

٤٧) تطلق عليها معظم المصادر العربية مدينة يابرة بياء آخر الحروف وألف وباء مُوحدة وراء مُهملة وهاء، ويابر كلمة فارسية تعنى الضيعة التي يهبها السلاطين لأهل الحاجة، ويطلق الإدريسي والحميري عليها يبورة أو يابورة، والمصادر الإسبانية Evora،

والإنجليزية Yabrea، كما وردت فى جغرافية استرابون Ebura وEbora، وهى مدينة قديمة وتعنى نوعًا من الشجر السام الذى تتخذ عصارته لتسميم السهام أو الانتحار، وهى بلدة ليس فيها الآن أكثر من ١٦ ألف نسمة وكانت هذه البلدة شهيرة في أيام الرومان واستولى عليها العرب سنة ٧١٥ ميلادية ثم استردها الإسبان سنة ١١٦٦م، وكان يجلس فيها ملوك البرتغال أحيانًا وإذا دخل إليها الإنسان يظنها مدينة عربية لكثرة مباني العرب فيها وغلبة طرز الإنشاء العربي على مبانيها. ومن علماؤها أبو بكر عبد الله بن طلحة اليابرى. الإدريسي؛ أبو عبد الله محمد بن إدريس الحمودى المعروف بالشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزء الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص٥٤٤-٥٤٥؛ الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من نزهة المشتاق في اخترق الآفاق، طبعة بريل، ١٨٩٣، ص ١٧٥-١٨١/ الحميري؛ محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٥، ص٦١٦/ الأسدى أبو الإصبع عيسى بن سهل بن عبد الله "ت ٤٨٦هـ"، الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى، تحقيق نورة محمد عبد العزيز، الجزء الأول والثاني،، ص١٩٨ -١٩٩ / شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الجزء الأول، د. ت، ص١٩١/ ابن سباهى زامحمد بن على البروسوى الشهير ده "ت٩٩٧هـ، " أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدى عبد الرواضية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص٦٥١/ / موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، المجلد الثاني، جامعة السلطان قابوس، لبنان، ص١٠٢٤/ سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي. ، الجزء الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص٢٠٧-٢٠٨؛

John Richardson for Peter Parker,Thomas Guy:A Dictioary ,English-Latin-English The Second Edition,Enlarged ,Containing All Things Neceffary for the Tranflating of either Language into the Other,London,1679,P. 106

٤٨) سحر سالم، **مظاهر الحضارة في بطليوس** الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص١٦١-١٧٦.

٤٩) البشكنسVascones هم سكان نافار التى كانت بنبلونة عاصمة لها، وكانوا يقيمون في الأراضي التابعة في الغالب لمملكة نبرة الواقعة شمالي نهر إبرو، وكانوا عبارة عن قبائل عديدة استولت كل واحدة منها على إقطاعية إما تابعة لمملكة الفرنجة، وإما تابعة لمملكة أشتوريس، ولم يستطع الملوك الأشتوريسيون أن يضموا كامل إقطاعياتهم إلى أراضيهم، واتخذوا من مدينة بنبلونة عاصمة لهم، وكان الأمويون على علاقة قديمة ومصاهرة بهم كما كان الضعف يشوب إسلامهم، وهم أمة مستقلة بنفسها لهم لغتهم الخاصة بهم.

ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج٣، ص٤٢؛ القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج٥، د. ت، ص٢٣٤؛ أحمد مختار العبادي، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، ص٢١١-٢١٢-٢١٣؛ محمد سهيل طقوس، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٨م. ص٢٠٨-٢٠٩؛ أحمد إسماعيل الجمال، **دراسات في تاريخ الأندلس: دويلات الصقالبة العامريين في شرق الأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٧، ص١٢٠.

٥٠) قبائل مصمودة: هي قبائل اختصت باستيطان المغرب الأقصى منذ زمن بعيد، واشتغلت بالزراعة، وكانت تسكن الريف الغربي. ونفزة قبيلة كبيرة منها بنوعميرة وبنو ملجان المقيمون بشاطبة. كانت قبائل مكناسة التي ما زالت مدينة مكناسة تحيي اسمها وهى تنتشر من المصب قرب تلمسان إلى المنبع بالقرب من سجلماسة ابن حيان، المقتبس، **تحقيق مكى، ص٦١٥-٦١٦؛ سحر سالم**، المرجع السابق، **ص١٨٠-١٩١ ؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية، ج٣، ص٢٨٣؛معاذ البكوري، قبائل غمارة: قراءة في المجال والتراث، دار إى كتب لندن، ص٨٥.**

٥١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثامن، صـ ١٠؛ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، المجلد الرابع، مكتبة الخانجي، القاهرة، صـ ٤٢.

٥٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٦١٥-٦١٦.

٥٣) موسى بن هذيل بن محمد بن تاجيت، البكري. من أهل قرطبة، يكنى أبا محمد، يعرف بابن أبي عبد الصمد.. أبو محمد جلال الأسيوطي، ابن بشكوال/ أبو القاسم

خلف الأندلسي، ضبط جلال الاسيوطى، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢١٩.

٥٤) أبو جعفر عبد الصمد موسى بن هذيل.

٥٥) ابن القط: هو أحمد بن معاوية المعروف بابن القط، وهو من ولد هشام بن عبد الرحمن وزعم أنه المهدي وكان عالمًا ومشهودًا وافر الذكاء والعزم، فالتفت حوله جموع كثيرة من البربر وأعلن الجهاد وقصد سمورة وأرسل رسالة لألفونسو يدعوه فيها للإسلام، وكان الفونسو على مقربة من سمورة، فالتقيا هناك، وتركه البربر لساحة المعركة وحده حتى قتل على يد النصارى بعد لقائه معهم للمرة الثانية، وعلقت رأسه فوق أحد أبواب سمورة في سنة ٢٨٨ هـ. ابن حيان، المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيه، ص١٣٣-١٤٠؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، الجزء الثاني، ص ٩٢.

٥٦) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق ملشور أنطونيه، ص١٥، ٧٠-١٣٨؛ سحر سالم، **حضارة بطليوس**، ص١٩٥-١٩٦.

٥٧) حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص٤٢٤-٤٣٠.

٥٨) سحر سالم، **حضارة بطليوس**، ص١٩٥-١٩٩.

٥٩) مدينة قلمرية: الأصل في تسميتها من: سيفيتاس ايمينيون civitas Aeminium، وهو مشتق من Ameneiu (ايمينيوم) التى تعنى أعلى التل فى اللاتينية، وهى تقع على نهر المنديق Mondego River فى وسط البرتغال، وعلى ساحل المحيط الأطلنطى. وأصل هذه المدينة يرجع لعصرالرومان، فكانت تسمى ايمينيون. ولكنهاأخذت بعد ذلك اسم مدينة رومانية مهمة، وهى Conimbriga التى تقع على بعد ١٨كم من جنوب قلمرية، والتى دمرت وهجرها سكانها أثناء الهجمات البربريةعليها. ورأت أسقفية مدينة كونمبريجا أنه يجب نقلهم إلى مدينة ايمينيوم(قلمرية الحالية) فى سنة ٥٨٠ق. م، ومن هنا تغير اسم المكان من ايمينيوم إلى كونمبريجا. ثم حرفه المسلمون قلمرية بعد فتحها.

Sir H. A. R. Gibb;The Encyclopaedia Of Islam,coimbra, ,Translate Brill Archive ,1999,P. 367.

٦٠) القُمصُ: في المسيحية أحد أصحاب المراتب الكنسية وهو أعلى من القس والجمع قمامصة، كان المستعربون يخضعون لرئيس عام لهم تعينه الحكومة المركزية يدعى

Comes ويطلق عليه العرب اسم قمص، وفى بعض الأحيان المدافع أو الحافظ.
المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مادة: "قمص" طبعة ١٩٩٤، ص٥١٥؛ أحمد بدر، **دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة**، الطبعة الثانية ٢٠٠٨، ص١٩٥.

٦١) هذا المنشور محفوظ في دير لوربان Lorban وطبع في لشبونة عام ١٦٠٩م وترجمته في شكيب أرسلان، **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ١٩٨٠، ص٢١٦-٢١٧؛ أحمد بدر، **دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها**، ص١٩٦.

٦٢) سير توماس وأرنولد، **الدعوة إلى الاسلام**، ترجمه إلى العربية حسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١، ص١٥٨؛ أحمد بدر، **الأندلس وحضارتها**، ص١٩٧.

٦٣)الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٥٤٢-٥٤٣؛ حسين مؤنس، **رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود**، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، الدار السعودية، الدار السعودية، ص٣٠٠-٣١٢؛ السيد عبد العزيز سالم، **الحضارة الإسلامية**، ص٢٩؛ نجيب عفيفي، **العرب والبرتغال**، المجلة، العدد ٥٣، ص٥٢؛ حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص٥٤٣ وما بعدها.

٦٤) الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، المجلد الأول، ص٥٤٢-٥٤٣؛ حسين مؤنس، **رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود**، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، الدار السعودية، الدار السعودية، ص٣٠٠-٣١٢؛ السيد عبد العزيز سالم، **الحضارة الإسلامية**، ص٢٩؛ نجيب عفيفي، **العرب والبرتغال**، المجلة، العدد ٥٣، ص٥٢؛ حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ص٥٤٣-٥٦١.

٦٥) الحميري، **الروض المعطار**، ص٥٠٧-٥٠٨. ؛ ابن الخطيب، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق ليفى بروفنسال، ص١٥٠؛ شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، الجزء الأول، بيروت – لبنان، ص٨٥. -٨٦

٦٦) نهر منديق: يقع جريه على غربي مدينة قلمرية وهو نهر كبير، ويتصل جرى هذا النهر بالبحر وبالقرب منه كنيسة جليانة على بعد ستين ميلًا.

الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج٢، مكتلة الثقافة الدينية، ص٧٢٩؛ حنان عبد الهادي الكتاني، **صفحات من تاريخ الأندلس فرناندو الثالث ملك قشتالة وليون وعلاقته الممالك الإسلامية المجاورة في الأندلس**، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، دار الإيداع، الاسكندرية، ص٧١.

٦٧) حسين مؤنس، **رحلة الأندلس**، ص٣١٤-٣٢٤.

٦٨) هو محمد بن عبد الله المظفر (١٠٠٥-١٠٦٨م)، فقد ألف المظفر الكتاب المظفري، نسبة إلي اسمه، فيقول المقري:" كان المظفر أديب ملوك عصره، غير مدافع ولا منازع، وله التصنيف الرائق، و التأليف الفائق، المترجم بالتذكرة، والمشتهر اسمه أيضا بالكتاب المظفري في خمسين مجلدا، يشتمل علي فنون وعلوم، من مغازٍي وسِيَر، ومثل وخبر، وجميع ما يختص به علم الأدب، توفي المظفر ٤٦٠هـ/١٠٦٧... ".

ابن بسام الشنترينى، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ج ٣، ص٦٤٠؛ المقرى، **نفح الطيب**، ج٦، ص٢٠٩؛ انخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، صـ١١٨.

٦٩) مؤلف مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص ٥٥؛ حسين مؤنس، **رحلة الأندلس**، ص٣١٤-٣٢٤.

٧٠) قنطرة السيف؛ هي حصن قريب من مدينة ماردة، وكان يتحصن أهلها فيه عندما يهجم عليها الأعداء، وصفت قديمًا بأنها من عجائب الأرض؛ حيث إن النهر كله يدخل تحت قوس من أقواسها، وعلى ظهر هذا القوس برج عظيم ارتفاعه أربعون ذراعًا، وقد بني البرج والقنطرة بأحجار عظيمة، يبلغ طول الواحد منها ثمانية أذرع وعشرة، وأكثر وفي رأس هذا البرج وفي آخر الأحجار ثقب من اللاطون(نوع من أنواع النحاس الجيد) لذلك سميت بقنطرة السيف، وتحت هذه القنطرة تقع شنترين، وفوقها مدينة طلبرية.

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، **الجغرافيا**، تحقيق محمد صادق، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت، ص٨٥؛ الحموي، **معجم البلدان**، ص١٠٧.

٧١) المرحلة:هي المسافة التي يقطعها السائر في نحو يوم أو ما بين المنزلين.

ابراهيم مصطفى، **المعجم الوسيط**، مادة رحل، ج١، ص٣٣٥.

٧٢) الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج٢، ص٥٤٧؛ الحموي، **مصدر سابق**، ج٤، ص٣٩١؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس**، ج١، ص٢٠٤.

٧٣) الإدريسي، **صفة المغرب وأرض السودان**، ص١٨٣-١٨٦؛ السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص١٩٠-١٩١؛ سعد عبد الله صالح البشرى، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص٣٠٣.

٧٤) الإدريسي، **صفة المغرب وأرض السودان**، ص١٨٤.

٧٥) حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس**، الطبعة الثانية، ص٢٧٨.

٧٦) الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، تحقيق احسان عباس، ص٣٤٧؛ شكيب أرسلان، **الحلل السندسية**، ص٨٧؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج٨، ص٣٩٧.

٧٧) المعتمد بن عباد: هو المعتمد على الله محمد بن عباد، تولى أمر مملكة إشبيلية بعد المعتضد، وكان مع اشتغاله بالحرب أديبًا، وضاربًا في العلم، وله شعر. ابن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص٤١-٤٢.

٧٨) مؤلف مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص٥٤؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٣٤٢-٦١٦؛ حسين مؤنس، **رحلة الأندلس**، ص٣١٨؛ عنان، **دولة الإسلام**، ج٨، ص٤١٠. -٤١٤.

٧٩) أبو الوليد **الباجي :الإمام العلامة، الحافظ، ذو الفنون، القاضي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الأندلسي القرطبي الباجي الذهبي. أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح**، اعتنى على إبراهيم مصطفى، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠، ص١٥.

٨٠) الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ٥٦٩؛ حسين مؤنس، **رحلة الأندلس**، ص٣١٨-٣١٩؛ عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال**، ج٨، ص٤٢٤-٢٢٦.

٨١) الحميري، **المصدر السابق**، ص؛ ٥٦٩؛ حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص٣١٨-٣١٩؛ عنان، **المرجع السابق**، ج٨، ص٤٢٤-٢٢٦.

٨٢) الزُّلُج: الصخور المُلس. ابن منظور ت ٧١١هـ، **لسان العرب**، تحقيق: نخبة من الأساتذة، ج٢١، باب: الزاي، مادة: "زلج"، ص١٥٨١.

٨٣) الحميري، **المصدر السابق**، ص٥٦٩؛ حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص٣١٨-٣١٩؛ عنان، **المرجع السابق**، ج٨، ص٤٢٤-٢٢٦.

٨٤) الحميري، **المصدر السابق**، ص ٥٦٩؛ حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص٣١٨-٣١٩؛ عنان، **المرجع السابق**، ج٨، ص٤٢٤-٢٢٦.

٨٥) شكيب أرسلان، **الحلل السندسية**، ص٨٨؛ نجيب عفيفي، **العرب والبرتغال**، المجلة العدد ٥٣، ص٥٢-٥٦.

٨٦) شكيب أرسلان، **الحلل السندسية**، ص٨٨؛ نجيب عفيفي، **العرب والبرتغال**، المجلة العدد ٥٣، ص٥٢-٥٦.

٨٧) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، **كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس**، مراجعة صلاح الدين الهوارى، المجلد الأول، المكتبة العصرية بيروت، ص١٨٣-٥٣٣. -١٤٥

عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، ج٨، ص٤٤١؛ سحر سالم، **المرجع السابق**، ص٤٧٨-٤٨٩.

٨٨) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، **كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس**، مراجعة صلاح الدين الهوارى، المجلد الأول، المكتبة العصرية بيروت، ص١٨٣-٥٣٣. -١٤٥

عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، ج٨، ص٤٤١؛ سحر سالم، **المرجع السابق**، ص٤٧٨-٤٨٩.

٨٩) سحر سالم، **المرجع السابق**، ص٤٧٨.

٩٠) حسين مؤنس، **رحلة الأندلس**، ص٣١٣.

٩١) المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٢٢٢؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، دار صادر، بيروت، ص٢٤٢؛ ابراهيم عبد المنعم سلامة، **وصايا الدفن عند المسلمين في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين**، مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٥، ص١٩.

92(F. J. Velozo; The Problem of Arabic,P211; Lonely Planet Staff, Kerry Walker, Lisbon Encounter. , P. 64 .

٩٣) عبد الواحد ذنون طه، **دراسات أندلسية**، ص٢٠٧-٢٠٨.

٩٤) هو سلندودافيدس من أشهر الشخصيات في هذه الفترة، فقد أسر وهو صغير في غزوة القاضي ابن عباد ضد ابن الأفطس، وربى فى بلاط ابن عباد وأعجب به المعتضد، وأسر حدثًا في غارة قام بها القاضي ابن عباد في منطقة قلمرية، ثم أخذ إلى إشبيلية وربى مع فتيان القصر، ولما تولى المعتضد قدر مواهبه؛ فقد كان من وزرائه، واستخدم في السفارات بينه وبين الملك فرديناند ثم ما لبث أن انضم إلى بلاط الملك القشتالى، والذى قربه منه لمعرفته باللغة العربية وأحوال المسلمين، وكان دائم النصح له وتوفى في سنة ١٠٩١م.

ابن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، م٤، ص١٦٥-١٦٦؛ محمد عنان، **دولة الطوائف منذ قيام قيامها حتى الفتح المرابطى**، ج٣، ص٥٨-٣٨٥؛ النشار، **دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال**، ص٣٠. ؛ عبد الله ناصري طاهري، **نظرة حول انهيار دولة المسلمين في الأندلس**، مجلة العلوم الإنسانية الدولية الجمهورية الإسلامية الإيرانية، العدد ٢، ص٩٦.